أدبيات
نبع الآداب والثقافة المعاصرة

أحمد بهاء الدين

رجولة وعروبة .. قيادة وريادة



مجدى سلامة

أدبيات

•

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

•

أحمد بهاء الدين

أدبيات

●

منبع الآداب والثقافة المعاصرة

●

من : أدب ، وقصة ، ورواية ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ، وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا ، وتاريخ ، واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة .. الخ .

●

تحت إشراف ومراجعة

لجنة القراءات
بالمؤسسة العربية الحديثة

●

شعار السلسلة

نحن نخرج لك أحسن الكتب

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٦٨٤٢٣٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

أدبيات
•
نبع الآداب والثقافة المعاصرة
•

أحمد بهاء الدين

رجولة وعروبة .. قيادة وريادة

مجدى سلامه


الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٧٧٠٠٢

مقدمة

أحمد بهاء الدين ، كاتب موهوب وصحفى قدير متعدد الثقافات ، واسع الاطلاع ، عميق التفكير صاحب أسلوب رقيق بسيط مهذب أضاء العقول .. اتسمت كتاباته بالرصانة والحكمة .. بالمعرفة والعلم والإحساس العميق بالمسئولية .

لم يضيع وقته وجهده فى مواجهة المكائد والدسائس مع ضعاف النفوس من أعداء النجاح والحاقدين .. لم يخف من تقلبات الزمن ، ولم يلهث وراء المغانم .. كان عنيدًا بكبرياء ، وعالمًا بتواضع ، وقويًا بلا عنف ، وعفيفًا فى عدائه ، لذلك أمكنه أن يكسب ثقة القارئ واحترامه ، برغم أنه لم يكن ممن يتملق الناس وإنما يتحدث عن عيوبهم .

هذا الصحفى الكبير ، انحاز للوطن بشكل لا مساومة فيه ، آمن بأن مصر عاصمة العروبة ، بلا ادعاء أو تصنع . أقام الحوار الهادئ مع كل التيارات الفكرية والسياسية فى العالم العربى ، لذلك لا غرابة فى أن الملوك والرؤساء العرب كانوا يستشيرونه فى الأمور المهمة وليس بخاف أن (بهاء) كان أول صحفى يدعو لقيام الدولة الفلسطينية .

هذا الفيلسوف المفكر ، الناقد الأدبى والفنى ، كانت له مواقف وآراء فى الكثير من القضايا ، مثل الفساد الثقافى ، والإرهاب الفكرى ، والصراع العربى الإسرائيلى ، وانفتاح (السداح مداح) .. كما كان له رأى ، فى الحب والمرأة والصداقة والشباب .. وغير ذلك الكثير والكثير .

كم من قضايا طرحها ، كم من معارك خاضها ، وكم من آراء قدمها بعقله المستنير الراجح ، لم يلجأ إلى اللمز والغمز ، أو التربص وقطع العيش .

لقد سافر (بهاء) إلى الكويت ـ فى ظروف صعبة ـ ليرأس تحرير مجلة العربى ، حاملاً معه قلمه وفكره ، وإيمانه الصادق بمصريته وعروبته ، فصال وجال وأصبح سفيرًا فوق العادة .

لقد أوقد (بهاء) الشموع ، التى ألقت بضوئها على (الجمال) فتذوقناه ، وعلى الذوق فاقتنيناه ، وعلى الأدب فارتشفناه .

ماذا قال عن الأستاذ (أحمد بهاء الدين) زملاءُ القلم ؟ وماذا كتب عنه زملاء المهنة ممن تتلمذوا على يديه ، وتخرجوا من مدرسته ؟ من اتفقوا معه فى الرأى أو اختلفوا .. من لم يشكوا يومًا فى عروبته المختلطة فى دمائه بمصريته .

هذا الطود الشامخ هدَّه المرض ، وأدخله فى غيبوبة ، لا ينطق ولا يتكلم ستة أعوام أعقبتها الوفاة .

لقد مات هذا الفارس العبقرى النبيل ، الذى احترم قلمه ، فاحترمه الناس فى كل العالم ، مات عن عمر ناهز ٦٩ عامًا .

وفى هذا الكتاب (أحمد بهاء الدين .. رجولة وعروبة .. قيادة وريادة) حرصت أن أقدم حياته ـ منذ ولادته وحتى وفاته ـ فى حوار خيالى ممتع ومفيد .. وأثق ـ عزيزى القارئ ـ بأنك لن تندم على الوقت الذى ستقضيه فى صحبة هذا الكتاب ، الذى سوف تستفيد منه ، قارئًا أو باحثًا أو محبًا للتزود بالمعرفة .

كم أرجو أن يكون هذا الكتاب الصادق فى حواره تخليدًا متواضعًا لذكراه .

والله ولى التوفيق .

مجدى سلامة

(١) بهاء .. المولد والنشأة والطفولة

● مولدك وطفولتك وفجر حياتك .

ـ ولدت في مدينة الإسكندرية، في ٢٧ فبراير ١٩٢٧، لأب صعيدي من قرية الدوير بأسيوط اسمه : (عبد العال شحاته)، تعلم والتحق بوزارة الأوقاف، واستقر بعائلته في الإسكندرية حيث ولدت بها، ثم انتقل إلى القاهرة ومكث فيها بعد وفاة زوجته (أمي) التي لم يتزوج بعدها، عاكفًا على تربيتنا أنا وأخواتي (ناهد) و(سوسن) و (زيزف) و (ليلى) .. لقد كان أبي دمث الخلق، في حديثه عجالة، وعباراته تتفاوت بين الملاحظة الجادة والنكتة .

منذ فجر شبابه كان منتميًا لحزب الوفد، ويؤمن بأن حرية مصر ودستورها كائن واحد .. لقد كان مؤمنًا بالقانون، لذلك سعد بدخولي كلية الحقوق وفرح . لقد توفي والدي (عبد العال أفندي) بعد شهور من تقاعده عن العمل الحكومي إثر نوبة قلبية حادة .

● وماذا عن والدتك ؟

ـ لما كنت الابن الوحيد بين أربعة بنات، أي عقب العنقود، فقد أفرغت أمي كل حنانها وهمومها وقلقها وفرحها عليّ أنا، فقد كانت تصحبني معها لزيارات العائلة فأمكث صامتًا في موضعي حتى يحين موعد الاستئذان بالانصراف .

● **يبدو أن والدتك كانت تخاف عليك .**

ـ لدرجة جعلتها ترفض أن أخرج مع أصدقائى أو ألعب فى الشارع أو فى حوش البيت .. ولم أفترق عنها إلا فى أوقات ذهابى إلى المدرسة . وقد تدهش لو علمت أنها كانت تحسب موعد خروجى من المدرسة ، وكانت تحسب الدقائق التى يستغرقها الطريق من المدرسة إلى البيت ، فإذا تأخرت عن عودتى دقائق كانت تحضر إلى المدرسة تبحث عنى .. ولك أن تتصور ما الذى حدث لى عند وفاتها وأنا عمرى عشر سنين .

● **أعتقد أنك قد تصورت أن الحياة أصبحت مستحيلة ولامعنى لها .**

ـ وبكيت ومرضت وحزنت شهورًا طويلة حاولت فيها أختى (ناهد) ـ التى كانت بمثابة أمنا بعد وفاتها ـ أن تهدئنى .

● **وبالفعل هدأت وانتهى كل شىء .**

ـ ولكن الشعور الذى لازمنى منذ تلك اللحظة هو شعور عميق بالوحدة لم يفارقنى حتى بعد أن كبرت وتعلمت واشتغلت وسافرت وعرفت عشرات الأصدقاء والصديقات ..

● **هل لنا أن نعرف بعض الجوانب الخفية فى شخصيتك ؟**

ـ لقد كنت انطوائيًا حساسًا ، لم أمارس نشاطات الطفولة ،

وهذا ما قادنى إلى القراءة الحقيقية ..لقد نشأت عندى ميول فنية وحاسة تذوق فنى ، ولك أن تعرف أنه لا القوة ولا المال ولا الأبهة كانت تشغلنى ، فقد كان الذوق عندى أولاً ، كما كنت أحب أن أحيط نفسى بالجمال لابالعظمة .. كما لم أكن من الطلبة المشاغبين أو أبطال المظاهرات .

• كيف تقول إنك لست من المشاغبين مع أنك اشتركت عام ١٩٤٩ فى مظاهرات كوبرى عباس الشهيرة .

- هذه المظاهرات لم يكن لدى المتظاهرين فيها عصى أو أسلحة لمحاربة البوليس ، وكان الضرب من جانب واحد وكانت مجزرة .

• ماذا عنك أنت وسط المظاهرة ؟

- لقد كنت بين الوعى والغيبوبة فى المستشفى الذى نقل إليه الطلبة الجرحى ، وبعد أن أفقت اكتشفت أن رأسى مفتوح ينزف دمًا بغزارة ، وبينما الطبيب يطهر جرحى اقتحم رجال الشرطة المستشفى وحاولوا اعتقال الجرحى .

• بالطبع هربت مع الذين هربوا من الجرحى دون إسعاف .

- باختصار عدت إلى بيتى مصابًا والتزمت الفراش فى غيبوبة استمرت عدة أيام..

• أستاذ (أحمد بهاء الدين) .. كيف كونت منابع ثقافتك ؟

ـ نشأت منذ الصغر على الاهتمام بالشئون العامة من خلال قراءتى للجرائد اليومية .. فقد كان والدى يهوى القراءة ويتحدث وينفعل بالسياسة جدًا .. كان بيتنا مليئًا بالكتب السياسية والقانونية .. فى المرحلة الثانوية كنت أقضى كل إجازاتى الصيفية أقرأ الجرائد المصرية القديمة فى دار الكتب ، وقد جاء ذلك نتيجة قراءة الكتب السياسية التى نشأت فى وسطها .. فعندما كنت أقرأ عن الأحداث التاريخية فى كتاب ما ، أجد نفسى أذهب لدار الكتب لكى أقرأ عن هذا الحدث وهو طازج من خلال الصحافة .

• لماذا دخلت كلية الحقوق ؟

ـ لأننى عشقت القانون وأحببت الدراسة القانونية وليس كما تصور البعض أننى دخلت كلية الحقوق لأننى كنت أحب القراءة والجدل والمناقشة ، أو لأحقق رغبة والدى فقط .

• على كلٍّ ، لقد اكتشفت ـ بعد حصولك على الليسانس ـ أنك لاتحب المحاماة ، وأنه كان ينقصك صفة مهمة يجب أن يمتلكها المحامى .

ـ بالفعل ، فقد كان ينقصنى مواجهة الناس ، والوقوف وسط المحكمة للترافع ؛ لأن طبيعتى كانت أقرب إلى الانطوائية ، فما أكثر ما كنت أغلق على نفسى باب حجرتى لأقرأ وأكتب .

● **أعتقد أنك لم تكن مهتمًّا بأن تكون طالبًا متفوقًا قدر أن تكوّن لنفسك ثروة من القراءات .**

ـ لقد ضاع التفوق فى زحمة إشباع اهتماماتى بالقانون وعلوم الحقوق السياسية ، ومحاضرات الفلسفة والتاريخ ، التى كنت أحضرها فى مدرجات كلية الأداب .

● **أستاذ (بهاء) .. ماذا كنت تقرأ ؟ وماذا اكتسبت من عادة القراءة ؟**

ـ لقد اكتسبت من عادة قراءة الصحف والمجلات القدرة على الإلمام بما فيها .. لقد تعددت اهتماماتى منذ شبابى المبكر ، فترددت على المكتبات بانتظام لأقتنى منها كل جديد فى الكتب ، ولك أن تعرف أننى فى كل رحلاتى إلى دول العالم المختلفة كنت من الضرورى أن أزور أكبر مكتباتها للحصول على أحدث الكتب فى مختلف أنواع المعرفة ، لقد كنت من هواة الجلوس على مقهى (أسترا) فى ميدان التحرير ، وأنهمك فى قراءة كتاب .. لقد كنت قارئًا نهمًا ومتابعًا لأعمال الأجيال الجديدة الشابة والتعرف إليهم واللقاء بهم وتشجيعهم .

● **أعتقد أن كثرة القراءة كان لها الأثر فى إرهاق عينيك .**

ـ لقد أدرك ذلك الدكتور منذ صغرى ، فقد اكتشف أن إحدى عينى كانت سليمة تمامًا بينما الأخرى ضعيفة جدًّا .

• حتى كدت تفقد البصر بها .

ـ لذلك كانت وسيلة الطبيب لإنقاذ العين وتنشيطها على الرؤية ، هى أن أستر العين السليمة بقطعة من القماش الأسود وأترك العين الضعيفة تقوم بمهمة النظر ، حتى تقوى وتصل إلى مستوى العين السليمة .

• ولم يفلح هذا العلاج الذى استمر حوالى السنة ، وانتهى الأمر .

ـ بأن صنع الطبيب منظارًا يتوازن به النظر بين العينين .

• على كلٍ ، مشاكل عينيك امتد أثرها على مدى العمر وسبب لك آلامًا كثيرة .

ـ الحقيقة أن مشاكل عينى كانت أهم ما يؤرقنى ، فذات صباح وأنا فى لندن صحوت من النوم ، وشعرت بأننى لا أميز الأشياء جيدًا ، وعندما توجهت إلى الأطباء ، أخبرونى أن نزيفًا داخليًّا حدث فى عينى .. فقلت فى نفسى : « كملت » .. ضغط دم وسكر وقلب ، وتختم بالعينين اللتين استخدمهما فى القراءة والكتابة وأتفرج بهما على اللوحات فى المعارض !!

• على كلٍ يا أستاذ (بهاء) ، قد نرجع للحديث عن مشاكل عينيك بعد أن نتطرق إلى رحلتك بعد حصولك على ليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٦ ، والتى تمنيت فيها أن تعمل بالمحاماة ، ولكنك لم تستطع لأنك كنت أصغر من يحصل على ليسانس الحقوق .

ـ ولكننى عملت بعد تخرجى من كلية الحقوق فى مكتب مدير وزير التربية والتعليم (محمد العشماوى) باشا ، ثم عملت محققًا قانونيًّا فى النيابة الإدارية ، ثم فى قسم الرأى بمجلس الدولة الذى كان يرأسه أستاذى الروحى (عبد الرازق السنهورى) .

* * *

(٢) بهاء .. ورحلة مع الصحافة

• متى بدأت العمل فى الصحافة ؟

ـ قبل أن أعمل بالصحافة كنت أقرأ مجلة الفصول الشهرية .

• ما الذى دفعك لأن تقرأها وهى مجلة محدودة التوزيع ؟

ـ لأن صاحبها الأستاذ (محمد زكىٍ عبد القادر) .. كان من الكُتاب ذوى الفكر النزيه ، وقد أصبح هدفا لغضب السراى لأنه كان ممن يدافعون عن الدستور بحرارة . وعلى كل حال الأستاذ الكبير صاحب الفصول ـ بسمعته الطيبة ـ شجعنى على تقديم مقالاتى له لنشرها فى المجلة ، وكان ذلك خلال عملى بمجلس الدولة ، حتى كان عام ١٩٤٨ فعملت مديرًا لتحرير المجلة ، ولم يتجاوز عمرى ٢١ سنة .

• على كل لقد استقطبك الأستاذ مع عدد من المفكرين من الشباب مثل (عبد الرحمن الشرقاوى) و(فتحى غانم) و(على الراعى) و(نعمان عاشور) و(محمود أمين العالم) وطورتم مجلة الفصول من حيث الشكل والجاذبية .

ـ على فكرة .. لقد كان (نعمان عاشور) أول من علق فى ذهنه انطباع تكوّن لديه عنى ، وهو أننى أشبه صورة « المصرى أفندى » كما كان يرسمه صاروخان فى مجلة آخر ساعة .

• أعتقد أن رأيه هذا لم يكونه من فراغ ، لأنك كنت ذكيًّا وصوتك هادئا وطبعك دمثًا وتحمل إرادة صلبة .

ـ على كل .. أصدقائى كانوا ينادوننى مرة «المصرى أفندى» ومرة «غاندى» ، ومرة «الأستاذ دهاء» .

• لماذا أطلق عليك إخوتك وأصدقاؤك اسم (غاندى) ؟

ـ لأننى كنت أقرأ كل ما يقع فى يدى من كتابات المهاتما (غاندى) وتأثرت بوجوده وزهده وقناعته فى حياته الخاصة ، وطموحه الشديد لتحرير الهند وأمله فى وحدتها .. لقد أردت أن أتعلم منه إنسانيته وإيمانه .. أنا لم أعجب بـ (غاندى) فقط ، بل وبتلميذه (جواهر لال نهرو) الذى ترجمت رسائله إلى ابنته (أنديرا) عندما كان فى السجن ..

• متى كانت بدايتك الحقيقية فى عالم الصحافة ؟

ـ فى عام ١٩٥٢ ، توجهت إلى مجلة (روز اليوسف) ، وسلمت بواب المجلة مقالاً ، وفوجئت بالمقال ينشر كافتتاحية للمجلة فى الصفحة الأولى ، وشجعنى نشر المقال فظللت أرسل مقالاتى للمجلة عن طريق البواب ، وتنشر فور إرسالها فى مكان ثابت وواضح كل أسبوع .

• لقد ظلت مقالاتك تنشر فى الصفحة الثالثة لفترة .

ـ حتى كان يوم سلمت فيه المقال للبواب كالعادة فوجدته يطلب منى الانتظار لأن شخصًا يريد مقابلتى ورؤيتى ، فانتظرت ، وجاء إلىّ الأستاذ (عميد الإمام) سكرتير المجلة ، وأبلغنى أن الأستاذ (إحسان عبد القدوس) والسيدة (روز اليوسف) يبحثان عنى ، وأخذنى لكى أتعرف إليهما وإلى الزملاء .. ومن يومها انتظمت فى (روز اليوسف) .

● **وظللت تعمل بها ، وفى نفس الوقت كنت تعمل فى مجلس الدولة ..**

ـ واستمررت على هذه الحال سنتين ، فكرت بعدهما فى إكمال دراستى للحصول على الدكتوراه من (باريس) ، وأن أترك المجلة ..

● **ولكن السيدة (فاطمة اليوسف) أقنعتك بأن حياتك فى الكتابة ، وطلبت منك أن تنسى موضوع الدكتوراه وتتفرغ تمامًا للصحافة والكتابة ، فأسندت إليك عام ١٩٥٦ وظيفة نائب رئيس تحرير مجلة (روز اليوسف) ..**

ـ ولما كانت السيدة (فاطمة اليوسف) وابنها (إحسان عبد القدوس) يبحثان عن المواهب ويقدرانها ويعطيانها كل الفرص ، فقد استفدت كثيرًا من هوايتى القديمة فى قراءة الصحف والمجلات القديمة ، وتصور زملائى أن ورائى خبرة طويلة وتجارب كثيرة ومعرفة واسعة .

● **وبرغم أنك كنت فى العشرينات إلا أن الذين لم يعرفوك معرفة شخصية ظنوا أنك رجل فى الخمسين من عمرك ، وكل ذلك سببه الحقيقى قراءاتك فى التاريخ وما كنت تستشهد به من أحداث تاريخية مرجعها الكتب التاريخية وقراءة الصحف القديمة .**

ـ عندما طلبت إلىّ السيدة (فاطمة اليوسف) أن أتفرغ للصحافة لم أكن أتصور أنها كانت (حاطة عينها علىّ) كى تسند إلىّ رئاسة تحرير مجلة (صباح الخير) وكان ذلك عام ١٩٥٦

• وحيث إنك ذكرت مجلة (صباح الخير) ، فأستأذنك أن يكون لهذه المجلة مكان فى حوارنا .

ـ لقد كانت مجلة موجهة للشباب فى أول صدورها .. وهذا فى حد ذاته كان يمثل مشكلة .

• أعتقد أنه كان يمثل مشكلة وتحديًا فى نفس الوقت بحكم أن اهتماماتك كانت سياسية وليست اجتماعية ، وميزانية المجلة كانت متواضعة .

ـ لقد اعتمدت على مجموعة من الشباب ومعظمهم طلبة لم يسبق لهم العمل بالصحافة .. وهذا فى حد ذاته كان مخاطرة كبيرة ، وبفضل الله كان النجاح كبيرًا .

• هل لك أن تذكر لنا بعض هؤلاء المبتدئين من الشباب الواعد الذين عملوا معك ، وكان لهم مستقبل مشرف ؟

ـ الشباب الواعد يمكننا أن نذكر منهم (لويس جريس) ، و(أحمد بهجت) و(زينب صادق) ، و(محمود المراغى) ، و(نجاح عمر) ، و(رءوف توفيق) ، و(راجى عنايت) ، و(إيريس نظمى) ، و(فاطمة العطار) ، و(مصطفى نبيل) ، و(صلاح جاهين) .

• بالطبع تناولنا كل هذه الشخصيات الصحفية اللامعة ، التى أصبحت فيما بعد رموزًا مشرفة فى الصحافة العربية ، يتطلب الوقت والجهد والصفحات .. لذلك أستأذنك أن نتناول إحداها ، وليكن (صلاح جاهين) .

ـ يبدو أن اختيارك له لأنه كان رسامًا فنانًا مبدعًا .. ولعلك تدهش عندما تعرف أن (صلاح جاهين) عندما التحق بالمجلة لم يكن قد رسم من قبل أى كاريكاتير لأى مجلة ، وكان يحاول أن يكون مؤلفًا غنائيًا ، والتحق معنا فى المجلة كى يساعد فى أعمال السكرتارية ، ولكنه كان موهوبًا واكتشفت ذلك فى أثناء عمل مشروع المجلة على الورق .. كان يرسم أشكالاً ورسومات غير مسبوقة ، وطلبت منه أن يرسم .. ففاجأنى بقوله إنه يتمنى أن يرسم كاريكاتيرًا ولكن كل المجلات والجرائد رفضت رسمه ، ولكننى صممت على أن يرسم ، وفوجئنا بمستواه العالى .. وظهرت المجلة ورسومات (صلاح جاهين) تملأ المجلة وبهرت كل الناس .

- **أعتقد أن الاسم (صباح الخير) كان من اختيار السيدة (فاطمة اليوسف) .**

ـ أما الوصف « القلوب الشابة والعقول المتفتحة » فكان من اختيارى ..

- **على كلٍ لقد كان نجاح (صباح الخير) بفضل موهبتك فى الكتابة الصحفية برغم صغر سنك .. فقد كنت أصغر رئيس تحرير لأول مجلة شابة فى العالم العربى .**

ـ أرجو ألا تنسى فضل (حسن فؤاد) ، الذى كان مديرًا فنيًا ، و(عبد الغنى أبو العينين) وكان سكرتيرًا للتحرير ، فعلى أكتافهما مع الشباب الواعد بدأت المجلة ونجحت .

• ماذا أعطت (صباح الخير) للأجيال ؟

ـ لقد أعطت لأجيال الشباب القادم أملاً جديدًا فى المعرفة والفكر والفن ، من خلال القلم والريشة ..

• تلك الريشة التي كنت تطالب رسامى المجلة مع كل غلاف أن يعطوك غلافًا ناجحًا فى المعنى والهدف السياسى .

ـ (صباح الخير) كنت أعتبرها أكبر بناتى وأول بناتى ، وهى بنت لا تكبر ولا تتغير .

• ولما كان حديثنا عن (روز اليوسف) ومجلة (صباح الخير) ، فأعتقد أن الكثيرين يسعدهم أن نتطرق لشخصية السيدة (فاطمة اليوسف) ، باعتبارك كنت أحد المقربين إليها .

ـ عندما بدأت انضم إلى أسرة تحرير (روز اليوسف) بدأت تقرأ ما أكتب عن كثب ، وقربتنى من دائرتها ، وبدأت ألحظ أنها تقرأ بشيء من التحفظ ، ولفت نظرى أن هذه السيدة العظيمة صاحبة (روز اليوسف) كانت تقرأ بصعوبة ولا تكتب .

• متى اكتشفت ذلك ؟

ـ حين دعتنى لتناول طعام الغداء فى منزلها ، وفوجئت بأن زوجها كان أصغر منها بسنوات عديدة ويجلس صامتًا .. واكتشفت أن اسمه (أحمد قاسم أمين) حفيد (قاسم أمين) الذى كان أول من دعا إلى حرية المرأة المصرية .

• هذه السيدة التى أمكنها إقناعك أن تستقيل من وظيفتك وتتفرغ للصحافة بشخصيتها الساحرة المعجزة ، تقربت منك كثيرًا ، وكانت تؤكد عليك وتصر أن تمر عليها فى مكتبها كل يوم .

ـ وعندما خُلع الملك (فاروق) وغادر البلاد فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ، سارعت (روز اليوسف) بتكليفى كتابة كتابٍ عن (فاروق) وعهده ، وقد صدر الكتاب بعنوان «فاروق ملكًا» .. لقد أثار تكليفى إعداد هذا الكتاب وتجاهلها لابنها (إحسان عبد القدوس) الذى كان رئيسًا لتحرير المجلةِ تساؤلات المحررين .

• أعتقد أن قرارها تكليفك كتابته بمثابة اعتراف منها بقدرتك ، وبأن هذا الكتاب ستكون له أهمية تاريخية ، وأنك ككاتب جديد سوف تعطى الكتاب اهتمامًا خاصًا وموثقًا .

ـ الحقيقة أن هذه السيدة كانت تتمتع بشخصية تحوى مميزات عديدة ، أهمها الإعجاز الساحر ـ إن جاز هذا التعبير ـ وقد لمسه الكثير من الكتاب والأدباء والوزراء والساسة .

• على كلٍ ، ليس بخافٍ أن قبولك العمل تحت جناح (روز اليوسفً) ، مرجعه أنك عثرت على الأم التى فقدتها فى طفولتك ، وأن الإعجاب المتبادل الذى نشأ بينكما وأدركته هى بذكائها ، دفعها لأن تطلب إليك أن تكتب مذكراتها تحت اسمها ، مستندًا إلى أحاديثها الشفوية .

ـ لقد ظللت أعمل فى مجلة (روز اليوسف) منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٨ ، وكانت هذه المرحلة مهمة وحاسمة

فى حيـاتى ، فقد التزمت خلالهـا بالكتـابة الصحفية ، وصدرت لى كتب عـديدة ، وأصبحت منـذ عام ١٩٥٤ نائبًـا لـ (إحسـان عبد القدوس) .. وفى عــام ١٩٥٦ حين أسـندت إلـى السـيدة (روز اليوسف) مهمة تأسيس ورياسة تحرير مجلـة (صبـاح الخير) كنتِ أصغر رئيس تحرير فى مصر ، وهذا كنـت أردده دائمًا اعترافًا بفضلها .

• أستاذ (بهاء) إلىكم مرحلة كانت حياتك الصحفية مقسمة ؟

- إلى عـدة مراحل : الأولى فى (روز اليوسف) و(صبـاح الخير) والثانية فى (أخبار اليوم) والثالثة فى (الهلال) والرابعة فى (الأهـرام) .

• وبالطبع فى هذه الحالة لا يمكننا مناقشة المـدارس المختلفـة التى تنقلت بينها فى الصحافة .

- هـذا صحيح ، فــ (روز اليوسـف) كـانت صحافـة رأى ، و(الأخبـار) جريـدة خبـر ، وأصـدقك القـول إننـى فــى (روز اليوسـف) عملت كـل الأعمـال الصحفيـة ، من رسـم المــاكيت الصحفى ، وتوضيب الصفحة ، والكتابة وأنا جالس إلى المكتـب ، ولم أنزل يومًا للسوق للإتيان بالأخبار ، التى كان من المفتـرض أن أبـدأ بها عملى الصحفى ولاشك أن هذه كـانت بمثابـة نقطـة ضعف عندى بل كنت أعتبرها فجوة فى حياتى .

• ومع الأسف برغم مقابلتك لمعظم المسئولين فى العالم العربى عدة مرات ، سـواء فى جلسـات خاصة أو محادثات سياسية

أو ندوات ، فلم تحاول مطلقًا ، بل لم تفكر أبدًا في الحصول على خبر من أى منهم .

ـ المهم أستطيع أن أقول إننى كنت موفقًا فى كل عمل شغلت فيه رئاسة تحرير مجلة أو جريدة أو مؤسسة صحفية ، لأننى كنت إلى جانب رئاستى للتحرير ، ظللت أكتب الرأى والتحليلات السياسية وتحقيق مصادر الأخبار ، وإن كنت ـ كما سبق أن قلت ـ لم أكن أجمع الأخبار أو أحصل عليها ، فهذه بصراحة لم تكن من طبيعتى أو ميلى ..

- **سؤال مازال يحيرنى يا أستاذ (بهاء) ، وهو أنك بعد أن انتقلت إلى دار (الأخبار) كنت رئيس تحريرٍ لزملاء كبار ومشاهير ، بل كان منهم من هو أكبر منك سنا . ترى كيف تعاملت معهم ؟**

ـ أنا كنت محظوظًا لأننى عملت مع أفضل الأسماء الصحفية ، كانوا بصراحة أساتذة شامخين لم يعرقل أحد منهم طريقى ، بل رحبوا بى واحترمونى لأننى اندمجت اندماجًا كاملاً فى الصحافة ، لأننى أحببت مهنة الصحافة التى سلبتنى من نفسى ، فأنا عشت كصحفى للصحافة ، أتقن واجبى ، وفى المقابل كنت أجد التقدير من كل الذين عملت معهم كرؤساء لى ، أو أصحاب جرائد أو من الزملاء المرءوسين ..

- **يعنى نستطيع أن نقول إن كل الذين عملت معهم كانوا أصدقاء ، وأعتقد أنه يلزمنا الوقت لكى نتابع عملك فى (دار الهلال) و(الأهرام) ونقيّمه .**

ـ أستطيع أن أقول إن (الأهرام) قد احتوى صحافة الرأى والخبر ، وهذا موضوع الحديث فيه طويل ومتشعب ـ بمعنى أنه يلزم الحديث عن الخبر المجرد .. والخبر المفسر .. ومتى نعرف الخبر فى الإذاعة والتليفزيون ، ومتى نقرؤه مفسرًا فى صحيفة .

• **على كلٍ ، الخبر المفسر قد أدخل على المادة الخبرية الجزء الخاص بالثقافة الخبرية .. لماذا حدث الخبر وما وراءه وما أسبابه وتطوراته ؟**

ـ وطبعًا هذا شرحه يطول ، (ودمه ثقيل) لغير المتخصصين ومن يدرسون الصحافة ، لذلك فلننحِّ الحديث عنه جانبًا .

• **أعتقد أننا لايمكننا أن ننكر أنك كنت من المؤمنين بأنه لايجب عقد مناظرة بين الرأى والخبر ، فلابد من الاثنين .**

ـ لأن القارئ يريد خبرًا ورأيًا ، وكلها فنون صحفية ، ومع ذلك ـ كما سبق أن قلت ـ إننى لم أدخل مهنة الصحافة من باب الخبر ولكن من باب كتابة المقال .

• **أستاذ (بهاء) باعتبارك أحد رموز الكتابة فى مصر والعالم ، أرجو أن توضح لنا أية نوعية من الكتابة تستخدم فى كتابتك ..**

ـ الكتابة فى الماضى كانت تعتمد على الفصاحة اللغوية ، والسجع ، والتعبيرات الصعبة ، أما اليوم فالأسلوب الفصيح ـ فى رأيى ـ هو منطق وسهولة ومعلومات الفهم والتبسيط .. وأكبر خطأ يقع فيه الكاتب أن يبدو متعاليًا على القارئ .. يجب أن يتحدث الكاتب مع القارئ بنوع بين المساواة والتبسيط الشديد .. هذه هى الفصاحة الحقيقية .

• هل السهل الممتنع كان أحد مميزات كتاباتك ؟

ـ تميزت بالجملة البسيطة ذات الدلالات العميقة بلا تحذلق أو تزايد أو إسفاف ، وسواء أكان ذلك على مستوى الكتابة التحليلية أو فى كتبى أو فى عمودى الشهير بجريدة الأهرام «يوميات» .

• أعتقد أننا تناولنا اهتمامك الأول وهو الصحافة ، فهل أستأذنك أن ننتقل إلى مؤلفاتك المميزة التى أثريت بها المكتبة العربية ؟

ـ لقد كتبت حوالى ١٨ كتابًا منها : كتاب «النقطة الرابعة» وكان عن الاستعمار الأمريكى الجديد الذى يحتل الأنظمة بالمعونات لا بالقوات .

• أما كتبك الأخرى فهى : أفكار معاصرة (١٩٦٦) ـ أبعاد المواجهة العربية الإسرائيلية (١٩٦٦) ـ اقتراح دولة فلسطين (١٩٦٨) ـ اهتمامات عربية (١٩٩٣) ـ أيام لها تاريخ (١٩٩١) ـ ثلاث سنوات (يونيو ١٩٦٧ / يونيو ١٩٧٠) ـ شرعية السلطة فى العالم العربى (١٩٨٤) ـ (فاروق ملكًا) (١٩٥٣) ـ محاوراتى مع (السادات) (١٩٨٧) ـ مختارات من رسائل (نهرو) إلى (أنديرا) (مترجم ١٩٨٦) ـ يوميات هذا الزمان (١٩٩١) .

ـ بصراحة ما أعتبره كتبًا حقيقية أربعة كتب هى : (أيام لها تاريخ) ، و(شرعية السلطة) ، و(محاوراتى مع السادات) ، و(أفكار معاصرة) ، أما معظم كتبى الأخرى فكانت عبارة عن مقالات تم جمعها وطبعها فى كتب ، وهذا كان كطلب الناشرين .

• أستاذ (بهاء) لو سألناك من أنت ؟

ـ أنا كاتب سياسى عربى وطنى قومى مستقل ـ أومن بأنه يجب أن تكون هناك مساحة بين الكاتب السياسى ورئيس الدولة ..

• إن كانت الصحافة هى اهتمامك الأول .. فما هى اهتماماتك الأخرى ؟

ـ فى بداية حياتى كنت أكتب الأدب .

• لماذا لم تركز على هذا الجانب ، خاصة وأنك ـ كما سمعنا ـ كنت تكتب حكايات غرامية لواحدة مجهولة ، وأعجب الكثيرون برومانسيتك الفياضة ، كما كنت تكتب القصة القصيرة ، ولو ركزت لأصبحت أديبًا بارعًا ؟

ـ أعتقد أن السبب يرجع إلى شخصيتى الصعيدية التى كانت تميل إلى المشاركة الفعالة .. لقد كان لدى إرادة سياسية قوية ، وكنت أمتلك الشجاعة التى مكنتنى من دعم الموقف العربى والفكر القومى فى مصر .. بل لقد كنت من أقوى الأصوات التى وقفت مع (عبد الناصر) فى فكر القومية العربية .

• بل كنت الوحيد الذى يستطيع أن يتحدث عن الاشتراكية بلغة جديدة ؛ لأنك كنت دارسًا الاشتراكية بمعزل عن التيار الشيوعى ، وبعيدًا عن الإخوان .

ـ على فكرة وإن كانت الكتابة السياسية ومشاغلى الصحفية قد طغت على حياتى ، إلا أننى كنت أهرب منها أحيانا بالكتابة عن نقد كتاب أعجبنى ، أو فنان سعدت بتمثيله ، أو مطربة أشجتنى ، أو كوميديان أضحكنى .

• أعتقد أنك كتبت عن (فاتن حمامة) ، كما كتبت عن المطربة (نجاة الصغيرة)، وكما كتبت عن مسلسل (رحلة المليون) والفنان (محمد صبحى) ، كتبت عن مسلسل (هو وهى) والفنانة القديرة (سعاد حسنى) .

ـ كما كتبت عن (زكى طليمات) باعتباره من أعظم المثقفين فى المسرح المصرى، كتبت عن (محمد عبد الوهاب) باعتباره أعظم المحدثين الذين عرفتهم وغيرهم كثيرين ..

• إننا لا ننكر يا أستاذ (بهاء) أنك عند تناولك أحد الكتب فى كتاباتك فسرعان ما كان يبحث عنه القراء ، وإذا قدمت مسرحية أو فيلمًا أقبل عليهما المشاهدون ، ولو كتبت عن أحد المعارض يتردد عليه كثيرون .

ـ يبدو أنك تريد أن تعرف رأيى فى بعض الشخصيات الأدبية والصحفية والفنية التى عرفتها أو التقيت معها وكتبت عنها .

★ ★ ★

(٣) بهاء .. وشخصيات أثر فيها وتأثرت به

• ماذا كتبت عن سيدة الشاشة الأولى (فاتن حمامة) ؟

ـ لقد كتبت عنها أنها ستحتاج إلى أن تقرأ أشياء لا تقرؤها الآن ، ستحتاج إلى أن تقرأ القصص والروايات العالمية التى تطلعها على عوالم أخرى من المشاعر والمواقف والانفعالات تملؤها بذخيرة لأدوار كبيرة متطورة تحتاج إليها السينما المصرية . لابد لـ (فاتن) من هذه الثقافة لكى تظل فى القمة . لقد كان نجاحها المبكر السريع سببًا فى أنه جعل الموهبة لديها أكثر جدًّا من الاكتساب . ولكن الموهبة تكون أعظم وهجًا عندما تعكسها مرآة الثقافة والاكتساب .

• باعتبارك كاتبًا عملاقًا ومفكرًا سياسيًّا وأستاذ الثقافة والتنوير والتطور ، كيف بدأت معرفتك بالمطرب (عبد الحليم حافظ) ؟

ـ بدأت عندما ذهبت مع (مصطفى نبيل) رئيس تحرير مجلة الهلال حاليًّا إلى سرادق كان يغنى فيه (عبد الحليم) أغنيته « صافينى مرة وجافينى مرة » . والحقيقة كان غناؤه شيئًا مختلفًا عما تعودت أذنى سماعه . ومع الأيام بدأ يتردد على (روز اليوسف) والتقينا وبدأت صداقة بيننا .

• ما الذى جذبك إلى (عبد الحليم) .. صوته أم شخصيته ؟

ـ لما كان النجاح يسبق الشخصية وينطبق على أى شخص

ذكى جذاب فاهم ، لذلك كان صوت (عبد الحليم) أفضل بطاقة توصية له . وأن الحظ خدمه بأن واكب جيلاً من الملحنين الجدد كالطويل والموجي وبليغ . كما كانت له جاذبية شخصية ساعدته على الاقتراب من كل الأسماء الكبيرة التى احتضنته وأحبته . ومما هو معروف أن كل واحد يتقن عمله ينجح .. فإخلاص (عبد الحليم) وعشقه لفنه زاده تواضعًا كما أنه كان موهوبًا فى حب الناس له .

- **أعتقد يا أستاذ (بهاء) أنك قد أقمت دليلك على أن هناك علاقة بين السياسة والموسيقى والغناء ، ودللت على ذلك بـ (عبد الحليم) .**

ـ موهبته الصادقة هى التى أدت إلى اختصار سنوات تألقه باصراره وإرادته وعشقه للغناء ، ووعيه ببلده دفعه لأن يغنى السياسة ويذوبها فى عاطفة جميلة مؤثرة فى السامعين .

- **لقد قلت إن قمة نجاح (عبد الحليم حافظ) الفنى سببه أن أغانيه تتغلغل فى نفس المستمع وتظل معه لسنين .**

ـ (عبد الحليم) على المسرح كان حين يغنى يُشعِر الحاضرين بأنه يغنى لكل واحد وحده ويُشعره بالارتباط به فى علاقة ثنائية . (عبد الحليم) بظهوره وقد خلا له الجو واختفت بعض أسماء المطربين ولم تكن هناك منافسة بينه وبين (عبد الوهاب) الذى كان قد اعتزل الغناء .

- **على كلٍّ لقد اعترف (عبد الحليم) بأنه كان فضوليًّا راغبًا فى المعرفة وحب المناقشات وقراءة الصحف والمجلات بعناية . وعندما كان لايفهم شيئًا كان يلجأ إليك يسألك باعتبارك أحد قادة الرأى ، وكنت تجيبه فى صدق وبأسلوب سهل بسيط يفهمه .**

ـ (عبد الحليم حافظ) ساعده ذهنه المتفتح لفهم تيارات عصره : كما ساعده على النجاح صوته الجميل وعقله الذكى . والغريب والعجيب أن الناس تعلقوا بصوته كمطرب وصديق وأن موته كان يعنى انقطاع عطائه لذلك فالجماهير رفضت خبر رحيله .

• كما تناولت (فاتن حمامة) و(عبد الحليم) بالحديث عنهما ، ترى ماذا تقول عن الكاتب الصحفى المحاور (مفيد فوزى) ؟

ـ لقد كان من ألمع الذين عملوا فى (صباح الخير) من اليوم الأول ، ولأن لكل مجتهد نصيب ، فقد وصل إلى رئاسة تحرير (صباح الخير) . وظل يمثل روح العفرته والشباب ، وأمكنه أن يجعل (صباح الخير) لا تكبر أو تشيخ ، وظلت للقلوب الشابة والعقول المتحررة . وإياك أن تتصور أن (مفيد فوزى) كان طريقه سهلاً مفروشًا بالورود . لقد قاسى الأمرّين ويا ليته يكتب تجربته التى أثق بأنهُ سيقدمها فى صراحة وصدق ووضوح .

• من هى السكرتيرة التى عملت معك ولفتت نظرك ؟

ـ (نرمين القويسنى) ، فبعد أن عينت رئيسًا لتحرير (صباح الخير) وضعها (إحسان عبد القدوس) لتعمل سكرتيرة معى وكانت نعم السكرتيرة .

• نرمين فى ذكرياتها عنك أمدتنا بالكثير من شخصيتك .

ـ ماذا قالت (نرمين) ؟

• قالت إنك كنت قصيرًا رقيقًا مجاملاً خجولاً فنانًا وديعًا تمسك العصا من الوسط . وعاصرتك وأنت تكبر وأنت تضحك وأنت تعمل بصدق ، وكذلك وأنت ترد على المعجبات ..

ـ ألم تقل إننى كنت أهرب من المعجبات لدرجة أننى قلت لها عندما تطلبنى أية معجبة قولى لها مات .

• لقد قالت إن مكتبك كان يبعد عن مكتبها نصف كيلو ، وكانت تجلس فى أرشيف المجلة ومكتبك فى آخر الشقة ، ومن شدة رقتك وذوقك كنت لاتستعمل الجرس وكانت تجدك فوق رأسها تطلب منها ما تريد .

ـ لقد كنت أشفق عليها من طول المشوار خاصة وأنها كانت تعمل سكرتيرة لى وللأستاذ (إحسان عبد القدوس) فى وقت واحد . والحقيقة أن (نرمين) كانت شعلة نشاط ومعجونة (بمية عفاريت) والكلام فى سرك لقد افتقدتها بعد أن تركت مجلة (صباح الخير) وعملت رئيسًا لتحرير جريدة الشعب .

• بالطبع الحديث عن (نرمين القويسنى) كسكرتيرة . يدفعنى للاستفسار منك عن صحة ما روت بأنك عندما كنت تذهب مدعوًا إلى حفلة كنت تذهب فى الثامنة مساء مصطحبًا معك أحد المحررين ، وبعد ساعة كنت تختفى وحدك من الحفلة . ما السبب ؟

ـ لأن الإنسان المشهور يجب ألا يستمتع بشهرته ، وأنا كان علىّ مسئوليات كثيرة ، يجب أن أستيقظ مبكرًا لأستمع للإذاعات الأجنبية ، إضافة إلى أننى تعودت أن أقرأ قبل النوم .

• على كلٍّ ، لا ينكر أحد أنك خلال تلك الفترة كنت قياديًّا هادئًا لا تدخل فى أية قضايا صغيرة ، مهتمًّا دائمًا بما يجعل الإنسان متطورًا ، كاتبًا محايدًا مطلعًا على مجريات الأحداث نظرًا لسعة علاقاتك واتصالاتك بأقطاب الفكر والسياسة وزعماء الأحزاب على امتداد الخريطة العربية .

ـ بالطبع لم يفتْ (نرمين) أن تذكر أنها عاصرت بداية علاقتى بطالبة كلية الآداب قسم الإنجليزى التى أصبحت فيما بعد زوجتى .

• هذا سوف نعود إليه عند حوارنا عن المرأة فى حياتك ..

ـ أعتقد أنك كما ذكرت سكرتيرتى (نرمين القويسنى) . فلابد أنك التقيت بسائقى الخاص (سمير دسوقى) الذى ظل فى خدمتى قرابة الخمس سنوات من ١٩٨٩ حتى ١٩٩٤ .

تُرى ماذا قال عنى (سمير) ؟

• لقد قال إنك كنت هادئًا وصوتك منخفضًا ، وعندما تعبت ونقلت إلى مستشفى القاهرة التخصصى بالعناية المركزة ، أصر على الانتظار حتى خرجت من المستشفى وأوصلك إلى منزلك . لقد قال إن أحد الأمراء أرسل لك طبيبًا أجنبيًّا بطائرة خاصة مكث يومًا واحدًا للكشف عليك . لقد قال إنك كنت تنزل من

منزلك فى الثامنة والنصف صباحًا إلى الجورنال ، وتغادره فى الثانية والنصف ظهرًا ، وفى أثناء عودتك إلى المنزل كنت تتصفح الجرائد الأجنبية ، كما كنت تناقشه وتسمع رأيه فى بعض قضايا الساعة ـ على حد تعبيره ـ وفى المساء كنت تجرى بعض المقابلات مع الشخصيات المهمة فى أثناء وجودهم فى مصر مثل (ياسر عرفات) والأمير (طلال بن سعود) ، وكنت دائم الزيارة للأستاذ (محمد حسنين هيكل) ، وكان من أقرب أصدقائك (محمود السعدنى) و(لطفى الخولى) . كما قال إنك كنت تفضل القيادة الهادئة حتى فى السفر إلى أبو تلات. وكنت تسافر مع أسرتك وتفضل الجلوس إلى جواره . وأن كلامك قليل ولم تشخط فيه أبدًا كما كنت كريمًا معه .

ـ أعتقد أن نكتفى بهذا القدر مما قاله سائقى (سمير) .

● هل تقابلت مع الكاتب الكبير (نجيب محفوظ) الحائز على (جائزة نوبل) ؟

ـ تقابلت معه فى الخمسينيات ، حين ذهبت إلى نادى القصة ووجدته وتقدمت إليه وسلمت عليه وعرفته بنفسى قائلاً : أنا (أحمد بهاء الدين) .

● ودهشت لأنه كان يقرأ لك بانتظام فى (روز اليوسف) ، ومع ذلك لم يكن يتصور ـ حين رآك ـ أن من يكتب بهذا الأسلوب التحليلى العميق برجاحة عقل ونضوج ، صغير السن لهذه الدرجة .

ـ على كلٍّ بعد أن تعرفت الأستاذ (نجيب محفوظ) . بدأت أكون من الحرافيش ، وكنت أسهر معه فى حديقة الكاتب (محمد عفيفى) ، أو فى بيت المخرج (توفيق صالح) طوال فترة الستينيات .

• لقد قال عنك (نجيب محفوظ) إنك كنت دائمًا وديعًا هادئًا . لم يرك غاضبًا أبدًا ، لقد كنت تتفق وتختلف كثيرًا فى الحديث ، ولكنك لم تكن تغضب أو تثور . لقد قال أيضًا إن اهتماماتك الأدبية والفنية عميقة . وإنك كنت تكتب فى الأدب بنفس تعمقك فى السياسة ، وإنك أفضل من كتب عن الثلاثية التى ألفها .

ـ المهم أنا لم أترك (نجيب محفوظ) وحرافيشه إلا حين سافرت إلى الكويت لأرأس تحرير مجلة العربى .

• على فكرة ، (نجيب محفوظ) هو أول من عرفنا بأنك أول من كتب عن الأدب الإسرائيلى ، وكان ذلك فى خضم المعركة مع إسرائيل وقبل سنوات من اتفاقية السلام ..

ـ أذكر أن (نجيب محفوظ) تحدث إلىَّ فى هذا الخصوص وقال لى : « يا (بهاء) أنت تريد أن تعرفنا أعداءنا ، لكنك عن طريق الأدب اخترت مدخلاً إنسانيًا ، مما قد يتعارض مع حالة العداء القائمة بيننا ، وإنى لأخشى على الشباب من ذلك » .

• لقد كنت يا عزيزنا (بهاء) مقتنعًا بأنه يجب أن نعرف الإسرائيليين كما هم على حقيقتهم ، وليس من خلال عدائنا لهم .

ـ ما إن أوضحت ذلك لـ (نجيب محفوظ) حتى قال لى :
لقد قرأت لك وأنا مستمتع وخائف .

- **على كلٍّ لقد كانت آخر مرة رآك فيها (نجيب) فى بداية مرضك حين زارك مع (توفيق صالح) .**

ـ وكانت هذه الزيارة آخر لقاء بيني وبين (نجيب محفوظ) .

- **أعتقد أننا لو تناولنا فى حوارنا كل من عرفتهم أو التقيت بهم أو كتبت عنهم ، لاحتجنا من الوقت الساعات والأيام ، ومن الورق مجلدات ومجلدات تحوى آلاف الصفحات ، لذلك نكتفى بما قدمناه حتى يتسنى لنا التطرق الى معرفة نوعية كتاباتك .**

* * *

(٤) بهـاء .. ومحوركتاباته

- **هل لنا أن نعرف محور كتاباتك ؟**

ـ لقـد كنت صـاحب نـزعـة نقدية تحليليـة ، وبالتـالى لم أكن مستعدًا لقبول المسلمات والأحكام النهائية القاطعة أو اليقين الـذى لا يعرف الشك . لقد كنت أعارض كل اتجـاه لاستبعاد المشـاركة الشعبية . كما كنت أعارض بشدة إعدام الماضى ومحو صفحات التاريخ ، سواء أكان تاريخ ما قبـل ثورة ٢٣ يوليـو ، أو تـاريخ ما قبل وفاة (جمال عبد الناصر) .

- **على كل يا أستاذ (بهـاء) ، مـا دمـت قد ذكرت التـاريخ وثورة يوليـو فـلابد أنـك أدركـتِ أن ثـورة يوليو هى ثـورةُ شعب واتجـاه تحرر يصنـع شـكلاً جـديدًا للمجتمع أكثر عدلاً وأكثـر أمـلاً للأغلبيـة التى عانـت طـويلاً الحـرمـان فانحـزتَ لمبادئها ، ولم تفكر أن تكـون جـزءًا منهـا ، ووقفـت بحـزم تدافع عن منجزات الثورة بعقل منصف وضمير واعٍ .**

ـ لقد كنت الكاتب الذى عرف كيف يكسب ثقة واحترام القـارئ برغم أننى لم أكن من النوع الذى يتملق القارئ ، وإنمـا أتحدث عن عيوب النـاس .

- **وبالرغـم مـن أنـك كنت تؤيد وتشجع القطـاع الخاص ورأس المـال الاستثمارى والانفتـاح ، إلا أنك سرعـان ما هـاجمت بشدة الانفتاح الاستهلاكى .**

ـ لقد شجعت وأيدت الانفتاح الإنتاجى ، بشرط ألا يكون تشجيع القطاع الخاص بإعطائه حرية السرقة والتهريب والفرار بـالملايين من العملات التى كسبها من الشعب ، لقد فرقت بين من يكسبون المـال لأنهـم متميزون ومتفوقـون ويبذلـون عرقهـم ويعملـون عشر ساعات فى اليـوم ، ولأنهـم أصحـاب حرفـة ومهنـة ، وبيـن الذين يصنعون الملايين بمكالمة تليفونية ، أو من خلال علاقـات خاصة ، أو عن طريق اختراق القوانين .

- **لقد كنت دائمًا تفرق عند تطبيق سياسة الانفتـاح الاقتصـادى بين الانفتاح الإنتاجى حيث يقوم رجال الأعمال والمستثمرون الوطنيون بالمشروعات الإنتاجية التى تدعم الاقتصاد الوطنى وتوفر آلاف فرص العمل ، ويحققون ثرواتهم بالكسب الحلال ، وبين الانفتاح الاستهلاكى الذى يتخفى وراء الفساد والمتطلعيـن لنهب ثروات الشعب وتحقيق الإثراء غير المشروع .**

ـ لقد كان لى تحفظات كثيرة على انفتاح (السداح مدا'ح) .

- **بل كنت تؤكد أيضًا على أن مـن يحب مصر لابد أن يحب شعبهـا . فهـذا هـو الحب الأصـيل ، وليس مجرد حبها بالكلام واللسان . ومعنى حب شعبها ـ فى عرفك ـ هو أن نكافح لكى يتعلم الطفل المصرى أحسن ، ولكى يلبس المواطن المصرى أحسن ، ويأكل أحسن ، ويجدد مرافق حياته ..**

ـ الوطنية بالممارسة وليست بالأغانى والأناشيد والمهرجانات ، والوطنية الاقتصـادية ـ فى رأيى ـ هى أن نعمـل وننتج ، ونتعـب ونعرق ونشترى بعد ذلك كل ما نحب من كماليات وسيارات .

● **لقد كان لك رأى تصر عليه ، وهو أن كرامة البلد تكمن فى مطاردة الفساد وليس السكوت عنه أو مطاردة المتحدثين عنه .**

ـ لقد كنت دائمًا أنادى بأن نضع خطًّا فاصلاً بين الكسب المشروع والكسب غير المشروع ، وأكدت فى كتاباتى أن أصحاب الكسب المشروع لا خوف عليهم ، بل إن مصلحتهم أن تتطهر صفوفهم من أهل الكسب غير المشروع الذين جعلوا بسبب وجودهم الكثير من الناس تمزج الثراء بالفساد .

● **على كلٍّ يا أستاذ (بهاء) أنت لم تكف عن انتقاد البيروقراطية ، وغياب التخطيط ، وعدم احترام الأولويات ، والإسراف المظهرى والبطالة المقنعة ، والتجريف المستمر للأراضى الزراعية ، والرافضين للتقشف واستعمال اللغات الأجنبية ، وكل ما يصاحب الانفتاح الاستهلاكى من أشياء فجة وغثة .**

ـ كما لم أكف أبدًا عن الدفاع عن حق الناس فى التعلم والرعاية الصحية ، وإتاحة الفرصة للكفاءة وأن ينال هذه الفرصة المؤهلون لها عقلاً وجهدًا .

● **حقًّا لقد كنت داعية للنضج الاجتماعى والأخلاق وترقية الذوق العام وعبور حاجز اليأس والاتكال . لقد كنت يا أستاذ (بهاء) على الدوام من الكتاب الأفذاذ الذين يشعرون بمسئوليتهم تجاه وجدان الأمة وضميرها وعقلها وقيمها ، فلا غرو أن اختارتك الصحافة لتكون رمزًا تتضاءل أمامه مسافات المكان والزمان ، ولتصبح أنت الكاتب الذى يختزل ضمير أمته من المحيط إلى الخليج فى سطور ما يكتب . فقد كنت تملك عقلاً مستنيرًا هو أداتك وسلاحك فى كل الأوقات ..**

ـ لقد كنت أرى أن الحياة بدون فكر متجدد هى بحيرة آسنة لا تحوى غير السلاحف والحيتان . لقد طرقت موضوع الإرهاب الفكرى منذ أكثر من أربعين سنة فى مجلة صباح الخير ، كما كتبت عن الإرهاب منبهًا إلى خطورة استخدام سلاح التكفير مع من يختلفون معنا فى الرأى ، وأكدت أنه سيلحق أفدح الضرر بإنجازات الاستنارة . لقد طالبت بإعادة كتابة التاريخ الإسلامى وبقراءة جديدة للفقه والشريعة . لقد كنت أرى أن انفراد الرجال بتفسير القرآن ظلم المرأة وأن التفكير فريضة دينية ، والعقل المتطرف كسول .

- **لقد كانت إحدى خصالك الحميدة المتعددة أنك لم تكتب يومًا فى حياتك مضطرًا .**

ـ إننى لم أكن يومًا من الكتاب الذين ينكرون بسهولة ما كتبوه ، وقد أفهم أن أقول إننى كنت مخطئًا عندما قلت الرأى الفلانى مثلاً ، ولكننى لم أفهم أن أقول إننى كنت مضطرًا أن أكتب كذا .

- **وبهذه الروح الصادقة أسست مدرستك الصحفية التى سعد البعض بالتعلم فيها ، وشرف البعض بالانتساب إليها .**

ـ لقد كنت إلى جانب اهتماماتى بقضايا السودان ، كان تعاونى نافعًا فى مجال التعاون الدولى .

- **وبالطبع لا نغفل تعاونك الدولى والعربى الذى مارسته من خلال اشتراكك فى الاجتماعات واللجان التى كانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تقوم عليها . لقد كان لخبرتك القومية والعالمية أثرها فى اتجاهات برامج السياسة الخارجية للثقافة العربية .**

ـ على كلٍّ ، بقدر ما كنت أعرف للقلم قدسيته ، وللصحافة احترامها ، أستطيع أن أؤكد أننى كنت من القلائل الذين أقاموا الحوار العاقل الهادئ النظيف مع كل التيارات الفكرية والسياسية فى العالم العربى .

• الحق يقال إنك فى كل معاركك الفكرية والسياسية لم يجرؤ خصومك على النزول بالحوار عن مستواك الفكرى . لقد كانت لنزاهتك وحديثك مهابة وضمانة ضد السقوط والابتذال .

ـ لقد كنت ـ كما سبق أن قلت ـ كاتب رأى وليس صحفيًّا أجمع الأخبار .

• بالطبع لا تنكر أنك كنت الأول حين بشرت بالقومية العربية فى الصحافة المصرية ، والأول حين أقمت صحافة اجتماعية راقية هى مجلة (صباح الخير) .

ـ أعتقد أننى حملت القارئ على مدى خمسين عامًا لأن يظل يهتم ويقرأ دون ملل .

• وكيف لا ، وقد كنت نهرًا متدفقًا ، منابعك عربية وإنسانية ومسارك مصرى قومى .

ـ يخطئ من يظن أن اهتمامى كان منصبًّا على القضايا القومية وحدها ، وإن كنت لا أنكر أننى أعطيتها الكثير من فكرى وجهدى . يخطئ من يظن أن اهتماماتى كانت تتركز على القاهرة العاصمة وحدها . لقد شغل تفكيرى ووقتى نشاط الأقاليم خاصة فى فترة رئاستى لنقابة الصحفيين ، فقد تبنيت الكثير من الأفكار .

• أعتقد أن هذا سوف يتضح عند حوارنا عن الصحافة الإقليمية وتكريم أحد رواد العمل الصحفي .

ـ هو صاحب ورئيس تحرير أقدم جريدة إقليمية مارست نشاطها في دمياط أكثر من خمسين سنة ومازالت هي « أخبار دمياط » .

★ ★ ★

(٥) بهاء النقيب .. والصحافة الإقليمية

• أستأذنك يا أستاذ (بهاء) أن نركز على تبنيك لفكرة تكريم رواد العمل الصحفى فى الأقاليم .

ـ لقد شكلت نقابة الصحفيين لجنة برئاستى ، وعكفنا على دراسة إصدارات الصحف الإقليمية على مدى خمسين عامًا مضت لاختيار أكثرها انتظامًا وأكثرها التزامًا بآداب المهنة .

• وبما عرف عنك من صدق وأمانة ودرس وتمحيص وعدالة ..

ـ وقع اختيار اللجنة بلا تحيز على جريدة « أخبار دمياط » الإقليمية لتحصل على شهادة التقدير لتميزها ..

• وقد سلمت سيادتكم الأستاذ (زكريا محمد الحزاوى) صاحب ورئيس تحرير الجريدة شهادة التقدير .

ـ وشارك فى تسليمها للأستاذ الصحفى المخضرم (زكريا الحزاوى) بدمياط الدكتور (على لطفى) رئيس وزراء مصر حينذاك .

• أعتقد أن زيارتك لمحافظة دمياط لم تكن قاصرة على تكريم صحيفة « أخبار دمياط » وصاحبها .

ـ الحقيقة أن زيارتى إلى دمياط تمت عام ١٩٨٥ تلبية لدعوة خاصة من الدكتور (محمد حسن الزيات) ، بحكم معرفتى به

رئيسًا لوفد مصر فى الأمم المتحدة ووزيرًا للخارجية ورئيسًا لمصلحة الاستعلامات . وعندما دعانى لزيارة دمياط كان يعمل وقتها أمينًا للحزب الوطنى بدمياط .

- **ولما كان وجودك فى دمياط فرصة ذهبية ، فقد اغتنمها الدكتور (الزيات) وعقد لقاءً لك مع المكتب السياسى .**

ـ استعرضنا تطورات الأحداث فى المنطقة . ثم أجبت عن أسئلة الحاضرين .

- **لقد لاحظ كثير من الحاضرين لهذا اللقاء أنك كنت تتمهل فى الإجابة عن أى سؤال ، ثم لا تلبث أن تحلله ثم تغوص فى أعماق الموضوع ، بحيث لا بد أن يجد السامع معلومات جديدة أو تحليلات قد لا تخطر على باله .**

ـ المهم بعد أن تم اللقاء السياسى اصطحبنى الدكتور (محمد حسن الزيات) والأستاذ (عبد الوهاب شبانة) فى زيارة لمدينة دمياط الجديدة .

- **التى ما إن وصلتها حتى بدأت تسأل المسئولين عن الموقع وعن تاريخ هذه المنطقة .**

ـ لقد قالوا إنهم وجدوا فيها أثارًا يونانية .

- **ولم يفتك التعليق فنظرت إلى مرافقيك وقلت : تصوروا نحن لانعرف بلدنا . ولو عدنا للموسوعة التى وضعها الفرنسيون لمصر سنجد فيها معلومات عن هذه المنطقة .**

ـ على فكرة لقد كنت أرجع كثيرًا إلى هذه الموسوعة، وعندى النسخة الكاملة الفرنسية وأخرى مترجمة إلى العربية .

• على كلٍّ يا أستاذ (بهاء) عند زيارتك لمدينة دمياط الجديدة سألت واستفسرت عن كل شىء عن المدينة . تُرى ما هو رأيك الخاص فى دمياط الجديدة ؟

ـ بصراحة وصدق ، إن مدينة دمياط الجديدة هى المدينة التى أنشئت صح . فالمدن الجديدة الناجحة تعمر بوجود مناطق عامرة بوجودها تمدها بالخضر والفاكهة وينتقل إليها الناس بسهولة ، وبخاصة الجيران ، ليقوموا بإعمارها والعمل فيها . كما يسهل توصيل مياه الشرب والكهرباء إليها . وباختصار يفضل أن تكون امتدادًا لبلاد مجاورة .

• على كلٍّ لقد طلبت على رءوس الأشهاد وأنت تجوب مدينة دمياط الجديدة أن يهتموا بتوفير المواصلات منها وإليها ، وألا يسمح باللعب فى تخطيطها الأصلى ، وأكدت أنه لن يمر وقت طويل حتى يكون فى محافظة دمياط « دمياط جديدة بنشاطات جديدة » .

ـ بالطبع من غير المعقول ألا نزور فى دمياط مبنى جريدة « أخبار دمياط » الإقليمية التى فازت بالمرتبة الأولى على مستوى الجمهورية .

• ماذا رأيت وبمن التقيت فى الجريدة ؟

ـ لقد لفت نظرى مائدة تتوسط صالة مقر الجريدة تحملها أربعة سمكات يجلس حولها أسرة التحرير ، ولم يفتنى أن أمسحها

بعينى ـ برغم ضعف بصرى ـ لأدرك مدى الارتباط بالبيئة .
لقد صممت أن أجوّل فى مبنى الجريدة .

• ودهشت لأنك لم تجد إلا حجرة يوضع فيها بطاقات المشتركين وأوراق الطبع وأعداد الجريدة مجمعة كل سنة على حدة ، كما وجدت حجرات مفتوحة على بعضها مخصصة للمطبعة .

ـ بعد أن رأيت المبنى عرفت أن الأستاذ (زكريا الحزاوى) هو صاحب ورئيس تحرير وسكرتير الجريدة ، ويعاونه فى التحرير حوالى ستة أفراد جميعهم يعملون فى وظائف مختلفة . بعد أن رأيت الجريدة التى تصدر أسبوعيًا بصفحاتها العشرين حاوية سياسة ودينا وأدبًا ورياضة وأسبوعيات وأحاديث الأثانين وقطوف ودردشة فى ركن هادئ والأخبار والحوادث ومجاملات الأفراح والتعازى .. بعد أن رأيت كل ذلك بعينى فى الجريدة الإقليمية أؤكد أن أخبار دمياط كانت تستحق عن جدارة أكثر من جائزة ، كما أن الأستاذ (الحزاوى) رئيس تحريرها يعتبر بحق رائد الصحافة الإقليمية ولن ينساه التاريخ هو وصحيفته .

• على كلٍّ ، زيارتك إلى دمياط لم تنسك طلب التجوال فى حوارى مدينة دمياط . ترى ماذا رأيت من السيارة التى أقلتك مع الأستاذ (عبد الوهاب شبانة) وطافت بك ، وما هى انطباعاتك ؟

ـ لاحظت العربات الكارو وسيارات الربع نقل وهى تحمل كافة أنواعَ الموبيليات التى كانت تحت التصنيع .

• أعتقد أنه كان لك رأى قلته فى صراحة ووضوح ..

ـ لقد قلت فى صراحة إنه لا مستقبل لصناعة الأثاث فى مدينة الأثاث ، والمقعد الواحد الضخم السميك البليد فيه من الخشب ما يصنع غرفة صالون كاملة من الطرازات الحديثة الصغيرة ، وبالتالى فثمنها باهظ وتحريكها مرهق وحجمها خانق فى البيت الحديث ومستقبل المدينة مرهون بتبنى طرازات خفيفة حديثة رشيقة تناسب شقة العصر . ولا أدرى إن كانوا فى دمياط قد أخذوا بوجهة نظرى أم لا .

- **على كلٍّ يا أستاذ (بهاء) ، وإن كان قد أدهشك أن ترى هذا الكم الهائل من الموبيليا المصنعة إلا أنك قد فرحت بجودة الإنتاج فى دمياط .**

ـ بل أسعدنى أن أقول (بالفم المليان) وبحق عن دمياط : إنها « يابان مصر » .

- **على كلٍّ دمياط تشكر لك أنك أشدت بها وبعمالها المهرة وصحيفتها فى عمودك اليومى بجريدة الأهرام .**

ـ تقصد عمودى «يوميات» الذى تعودت أن أعتبره مرآة الحقيقة .

- **أستاذ (بهاء) أرجو ألا نكون قد أثقلنا عليك بحوارنا عن دمياط . كل ما أردناه أن نوضح ملامح من شخصيتك أيها الباحث الفيلسوف صاحب النظرة الثاقبة الفاحصة . فلم تكن تمر على الأمور مر الكرام . وإنما تتفحصها بتمعن وتحقق منها النتائج ، وإن من يعرفك عن قرب يعرف أنك تحمل فى جيبك دائمًا قلمًا ووريقات صغيرة تخرجها لتدون ملحوظاتك لترجع إليها عندما تريد فى أى وقت وأى مكان .**

ـ أرى أن نكتفى بهذا القدر عن (دمياط) ، ودمياط الجديدة وصحيفتها الرائدة فى مجال الصحافة الإقليمية ، والتى أشكرها لأنها أتاحت لى أن أعبر عن رأيى فى إحدى قلاع الإنتاج المهمة فى مصرنا الحبيبة .

• ولما كان عمودك « يوميات » الذى بدأت كتابته فى الأهرام منذ ١١ يناير عام ١٩٨٢ وحتى ٢٢ فبراير عام ١٩٩٠ بمثابة مرجع ومعيار للتوجيهات اليومية لمئات الألوف والشعراء والمثقفين الذين منحوك ثقتهم ، لأنك لم تستخف بعقولهم ، لذلك أستأذنك أن يتضمن حوارنا ما كانت تحويه تلك اليوميات . لعلنا نجد فيها منهجك وفلسفتك .

★ ★ ★

(٦) بهـاء .. منهـج وفلسـفة

• مـاذا كان هدفك فى الحياة ، وما هى فلسفتك ؟

ـ محاربة الفقر والجهل والمطالبة بالعدالة الاجتماعية ومقاومة الظلم والفساد والاستغلال . هذا كان هدفى الأول .

• ولعل ذلك سـبب حماسـك فـى الدفـاع عـن إنجـازات ثورة يوليو الاجتماعية حماسًا شديدًا .

ـ أما الهدف الثانى فقد كان إيمـانى العميق بـأن مصـر عربيـة بحكم التاريخ والجغرافيا والمصالح والأهداف ، وأن الأمة العربية هى الحقيقة التاريخية ، وأن مصر عاصمـة العروبـة بـلا ادعـاء أو تصنع ، وأن المستقبل هو للعمل العربى المشترك .

• ولعل ذلك هو سبب دفاعك عن الوحدة المصرية السورية وعن قضية فلسطين وعن ثـورة الجزائـر وعن العلاقـة المصريـة السودانية الخاصة ، ومحاربتك الصلبة للصهيونية ، بـل وكـل ما يشكل خطر الهيمنة على مستقبل الأمة العربية .

ـ كان من الضرورى أن أستفيد من غزارة قراءاتى وسـفرى للدراسة ، وتجديد التفكير والتأمل فى الواقع ، لذلك كتبت ونبهت ونشرت ونوهت بثـورة المستقبل ، ثـورة العلـم والتكنولوجيـا الحديثة والدقيقة ، وهذا هو الهدف الثالث .

• **ولعل ذلك هو سر إلحاحك على ضرورة تعديل مناهج التعليم وإصلاح مناهج التفكير بالعلم الحديث والمنطق السليم والاجتهاد الفكرى الحر ، بدلاً من الاستسلام للماضى وحده ..**

ـ أما هدفى الرابع فهو أننى كنت أحد المتأثرين بالحركة الوطنية المصرية التى كانت من نتاج ثورة سنة ١٩١٩ . كما تأثر فكرى بمبادئ الثورة الفرنسية ، كما انحزت إلى ثورة يوليو ـ كما سبق أن قلت ـ ودافعت عنها باعتبارها وسيلة التعبير الحقيقية فى مصر نحو الأفضل .

• **وبالطبع إيمانك بالديمقراطية ودفاعك العلنى عنها قد أوقعك فى متاعب سياسية كثيرة ، واصطدامك بالحكم فى عهد الرئيس (عبد الناصر) والرئيس (السادات) ، واختلافك فى الرأى معهما برغم حبهما واحترامهما وتقديرهما لك . فقد كان معروفًا سبب الاختلاف وهو تمسكك بحرية رأيك وحقك فى التعبير عن موقفك .**

ـ لقد دفعت ثمن رأيى وموقفى دون أن أشكو أو أتراجع .

• **أستاذ (بهاء) . ماذا كتبت فى يومياتك بجريدة الأهرام ؟**

ـ كتبت فى المشاكل الداخلية مثل تبوير الأرض الزراعية ـ الفساد فى الحكم وتدهور نوعيته ـ الحاجة لإدخال التكنولوجيا الحديثة فى التعليم ـ الخمول الذهنى الذى انتشر كالوباء ـ تصدع الوحدة الوطنية ، وباختصار يمكن أن نقول إن الوطن والعدل الاجتماعى والإيمان بالعقل والاهتمام بالمعرفة وحقوق المواطنة كانت محور كتاباتى الرئيسية .

• كما أن موقفك من قضية القومية العربية كان سببًا فى جعلك موضع ثقة الزعماء العرب الذين كانوا لا يجدون حرجًا فى العودة إليك واستشارتك فى الأمور المهمة .

ـ كما كنت أول صحفى يدعو إلى قيام الدولة الفلسطينية بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، لتمنح إسرائيل شرعية الوجود فى الأرض المحتلة . كما شاركت فى تأسيس مؤسسة الدراسات الفلسطينية ..

• ماذا عن عمودك اليومى بالأهرام الذى عنونته «يوميات» .

ـ لقد بدأت كتابته خلال الفترة من ١١ يناير ١٩٨٢ وحتى ٢٢ فبراير عام ١٩٩٠ كما سبق أن قلت .

• هذا العمود ظل يحمل إلينا كل يوم مفهومًا جديدًا عبر نظرك البعيد العميق المدقق . ولا ننكر أن كل ما كتبته كان ينبض بالحب والإخلاص ، ويمتاز بأسلوبك الذى عالجت به القضايا اليومية بالبساطة وعدم التكلف ، مع العمق فى التفكير والإحاطة والشمول ، وللحق والحقيقة أنه لو أردنا أن نحذف سطرًا واحدًا من المكتوب لاختل المعنى وسقط البنيان . حقًا كنت تنتقى كلماتك وتدقق فى اللفظ ، لذلك كانت الفكرة متماسكة محبوكة الصياغة .

ـ قد تدهش لو عرفت أن عمودى فى الأهرام ، لم أستغرق فى كتابته سوى بضع دقائق ، وأن معاناتى الحقيقية كانت فى الوصول إلى الفكرة والطريقة فى معالجتها ، وهذا الذى كان يستغرق الوقت ، وعندما تكتمل فى ذهنى فلا تستغرق كتابتها وقتًا .

• يبدو أن حديثنا عن عمودك بالأهرام سوف يجرنا للحديث عن كتّاب الأعمدة فى الصحف المختلفة عربية أو مصرية أو أجنبية ، فمعظمهم لاينتظمون فى كتابتها يوميًّا ، وذلك لصعوبة ولادة فكرة أو موضوع ، والكثير منهم تمل عموده إما لشططه فى الكتابة أو لأنه يقطع خيط انفعالات القراء وإما لأنه تنقصه عبقرية الفنان اللازمة لأى كاتب ، ولكنك والحق يقال يا أستاذ (بهاء) ، أنك قد انفردت بين كل هؤلاء بعمود سهل اللغة لايمكن محاكاته .

ـ قد يستفسر البعض : ممن كنت أستمد موضوعات عمودى .

• بالطبع من الناس سواء أكانوا موظفين أو صحفيين أو مواطنين ، وكم يسعدنا أن تعطينا مثلاً من صحفيين أو صحفيات استمددت منهم يومياتك .

ـ ذات يوم فوجئت بالصحفية (نادية منصور) تدخل مكتبى لأول مرة برهبة شديدة لحداثة عهدها ، فقد كانت فى بداية مشوارها الصحفى . طبعًا استقبلتها مرحبًا وسألتها عن أسباب دخولها الصحافة ونوعية الموضوعات التى تكتب فيها ، وبدأت تمتدح عمودى اليومى .

• وبدأت تبدى ملاحظتها عن صعوبة كتابة العمود اليومى ..

ـ عندئذ ابتسمت وطلبت منها أن تختار موضوعًا يصلح لكتابة اليوميات ، وفوجئت بها تحكى لى عن ضابط بقوات حرس الحدود الذى رفض رشوة كبيرة فى مقابل إدخال شحنة مخدرات داخل البلاد ، وتركتها تحكى الحكاية كلها . خاصة وأنها قد

أجرت حديثًا مع الضابط ، وقد ساعدها ذلك على ترتيب الحكاية واختصارها ، وأنهت (نادية) الحكاية وانصرفت . ووجدت نفسى أمسك القلم لأكتب عمود يومياتى الذى ظهر صباح اليوم التالى يحمل قصة هذا الضابط .

- **لقد كان الكثير من يومياتك يدل على انحيازك لما أنتجه العقل المصرى بامتداد تاريخه الطويل ، ووقوفك أمام محاولات تخريبه ..**

ـ لقد كان من الضرورى أن أتصدى وأحارب بضراوة معركة العدل الاجتماعى ، فانحزت للوطن بشكل لا مساومة فيه ، كما انحزت إلى الفهم الحقيقى لعلاقة مصر بأمتها العربية ..

- **بلا جدال ، لقد كنت ألمع وأشهر كتاب النصف الثانى من القرن العشرين ، ولا عجب إن كنت قد احتللت مساحة كبيرة فى ضمير أمتك . لذلك أستأذنك أن توضح بعض آرائك ..**

ـ فى أية قضايا ؟

- **قضية « الانتماء » مثلاً .**

ـ قضية شغلتنى ، كتبت فيها قائلاً : « من تقاليدنا السياسية القديمة المتوارثة إخفاء الحقائق عن الشعب ، وهذا ضد ما نسميه الانتماء . فالانتماء لا يتم بزف البشائر للشعب وجعله يرقد على مخدة من حرير ، ولكن يتحقق باشتراكه فى المعلومات ، وبالتالى فى المسئوليات المترتبة على هذه المعلومات ، وهذه أيضًا هى الديمقراطية وهى أخيرًا « فن الحكم » .

- **لقد قلت يومًا ليس أقسى من خيبة الحب إلا خيبة الصداقة ماذا كنت تعنى بذلك ؟**

- إن الصداقة مسئولية لا مجال للتهرب منها ، فالصديق إذا سقط لا يمكن بتر صداقته والنفس مستريحة ، ولا بد من مواصلة الوقوف بجانبه والتخفيف عنه قدر المستطاع ، كما أننى لا أشترط فى صديقى أن يكون كاملاً أو على هواى بالضبط ، لأن الكامل غير موجود . إنما أعرف صديقى وأنا عارف بعناصر قوته وضعفه .

• أعتقد أنك كونت ذلك الرأى عندما خيب أحد الأصدقاء صداقتك به لأنه لم يفهمك .

- وعدم الفهم فى رأيى هو اللغم الذى ينسف أعمق الصداقات ، ومع الأسف لم يفهم أصدقائى عيبًا مهما حاولت التخلص منه ولم أقدر ، وهو أننى لا أدلل أصدقائى .

• مع الأسف أن أغلب الناس تحب التدليل ، بل منهم من يحب أن يسمع من صديقه دائمًا عبارات المدح والتقدير والإعجاب مخطئًا كان أو مصيبًا ، ظالمًا أو مظلومًا .

- فى رأيى ، مثل هذا الشخص لا يبحث عن صديق ولكنه يبحث عن جمهور ، وأنا لا أحب الصداقة التى تحتاج إلى مجهود نفسى فى المجاملات والشكليات .

• ما هى أهم معاركك الحضارية الهادئة ؟

- فى مقدماتها محاولتى إنقاذ مزرعة كلية الزراعة للتدريب من أيدى هيئة التدريس فى الكلية ، التى كانت مصممة على انتزاع الأرض من الطلبة وتحويلها إلى مساكن للأساتذة .

• وبالرغم من حملتك لإنقاذ المزرعة إلا أن القوى المناوئة كانت أعتى وأوسع نفوذًا وحولت الأرض إلى مساكن ، وخسرت أولى معاركك الحضارية .

ـ لقد دخلت معركة أخرى محاولاً إنقاذ الأرض التى كانت تقوم عليها كلية دار العلوم القديمة من أن تقع فى أيدى مقاولى بناء الأبراج بموقعها الممتاز . لقد طالبت بتحويل الأرض إلى حديقة يتنفس فيها سكان حى المنيرة المحروم من جمال الأرض الخضراء ، وبالفعل كسبت معركتى وتحولت الأرض إلى حديقة جميلة ، وهكذا كما ترى معركة تخيب ومعركة تصيب .

• ما رأيك فى العلاقة بين المثقفين والسلطة فى الوطن العربى ؟

ـ تقصد بين الكاتب والسلطان . الكاتب يسعى لاستقلاله والسلطان يسعى ليجعل الكاتب صدى لأفكاره ، وكيف أن يكون كاتبًا مؤثرًا ومرموقًا ، والسلطان يمسك بالمنابر التى يخاطب الكاتب من خلالها قراءه ، مما يفرض عليه تجنب الصدام مع الحاكم ، ولكن كيف يحقق مكانته إذا نادى بأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، وتبقى المسألة كيف للكاتب أن يحقق مكانته ويحافظ فى ذات الوقت على مسافة بينه وبين السلطان ، لا تتسع حتى تتحول إلى هوة عميقة ؟

- **أعتقد أن العلاقة بين الكاتب والحاكم كانت إحدى قضاياك المهمة .**

ـ التى دفعت فيها الثمن غاليًا من صحتى ، فقد أصبت فى القلب وارتفاع الضغط والسكر .

- **ما رأيك فى المستقبل العربى ؟**

ـ أرجو ألا تتصور أننى أنظر إلى المستقبل العربى نظرة قاتمة ، فأنا متفائل بالمستقبل العربى ، متفائل باليقظة الشاملة فى الضمير العربى العام ، متفائل بالتطلعات العربية حتى وإن كانت متعجلة ، متفائل بالإمكانيات المتاحة للأمة العربية ماديًّا وبشريًّا مهما شابها من فوضى أو سوء استعمال أو إهدار .. من أجل ذلك فإننى لست أحب أن ينام المواطن العربى على حرير من الرضا عن النفس والاطمئنان إلى المستقبل .

- **هل تقصد بنظرية أمن عربية جديدة أو استراتيجية أمن قومى شاملة المعنى العسكرى وحده ؟**

ـ العنصر العسكرى هو جزء واحد فقط من أجزاء كثيرة تتكون منها الاستراتيجية ، فاستراتيجية الأمن تشمل سياسة الدفاع العسكرى وسياسة الاقتصاد وسياسة التعمير وسياسات أخرى كثيرة ؛ لأن الاستراتيجية تفترض ربط أجزاء الوطن العربى بشتى أنواع المواصلات ، ليس الطائرات وحدها ، ولكن بالطرق البرية والسكك الحديدية حتى تترابط شرايين الوطن العربى ترابطًا ينعكس على صحته فى حالات السلم والخطر على السواء .

• ماذا تعنى كلمة العصرية فى كتاباتك ؟

ـ العصرية ليست القدرة على اقتناء أدوات العصر الحديث المادية المصنوعة ، ولكن العصرية إذن هى الإنسان ، فى العادات والتقاليد والأخلاقيات ، فى العلاقات الاجتماعية ، وفى تنظيم العمل ، وفى دفع ضريبة التنظيم العصرى ، والتنظيم ليس معناه كما يفهم أحياناً من الكلمة حشد الناس فى صفوف وطوابير ، بل إن معناه توزيع المسئولية وتحديد الاختصاص على أن يدور العمل كله بعد ذلك فى انسجام تلقائى ، والتنظيم بهذا المعنى ليس بديل عن الأسلوب الديموقراطى فى العمل ، فجزء من التنظيم الحى أن تنظم عملية التعبير عن الآراء ، وتلاقى الخبرات لاستخلاص أسلم الآراء من مزيجها جميعًا ، دون أن يغفل هذا سرعة البت والحسم اللازمة فى المجتمع العصرى .

• لقد ألقيت الضوء بوضوح على أن أبرز سمات العصرية وهو ممارسة الحوار بصورة ديموقراطية على كل مستويات اتخاذ القرار بالإضافة إلى الحوار الفكرى والسياسى فى المجتمع ككل . على كل ، وإن كنت قد أثرت هذه الدعوة منذ عام ١٩٦٧ إلا أنها لم تتحقق ، ومازال تلاميذك وزملاؤك يكافحون فى سبيل إقامتها .

ـ أرجو ذلك .

• ما رأيك فى الفساد الثقافى دائه ودوائه ؟

- إن ظاهرة الفساد الثقافى التى أراها ظاهرة عالمية ولها أسبابها العالمية ، وإذا كان لابد أن أركز أغلب الحديث على الجانب العربى فهذا أمر طبيعى ، لأن ما يجب أن نعرفه ونحاول معالجته هو المرض الذى فى جسمنا قبل المرض الذى فى جسم الآخرين .

• ما رأيك فى حقيقة الصراع العربى الإسرائيلى ؟

- الرأى الذى لم أحد عنه وكررته مرارًا أن الكيان العربى الذى يستطيع أن يواجه تحدى إسرائيل ويتخطاه ليس مجرد حشد عسكرى قوى أو عمل سياسى بارع ، إن هذه أيضًا عناصر مهمة ، ولكن الأهم فيها أن يكون الكيان نفسه مستكملاً سائر أسباب القوة الحضارية من تقدم مادى ومعنوى وثقافى وعلمى .

• وماذا عن الأمن القومى الذى تنادى به إسرائيل ؟

- إن إسرائيل لا تفهم الأمن على أنه مجرد خطوط يسهل الدفاع عنها ، ولكنها تفهم الأمن على أنه الحصول على مواقع هجومية تستطيع منها أن تبقى البلاد العربية الأساسية تحت طائلة تهديدها لا مجرد خطوط يسهل الدفاع عنها .

• هل لنا أن نعرف تعريفك للإنسان ؟

- لقد قيل مرة عن الإنسان إنه حيوان ناطق ثم تبين أن الببغاوات تنطق ، وقيل إنه حيوان ضاحك ثم تبين أن القرود تضحك ،

وقيل إنه حيوان عاقل ثم تبين أن الحيوانات تعقل، وحار العلماء طويلاً ، فالإنسان كائن حي يأكل ويشرب وينام ويعقل كغيره من الحيوانات . ولكن المؤكد أن هناك شيئًا يميزه عن الحيوان ، شيئًا ارتقى به حتى أصبح السيد الذى يقهر الطبيعة ، وأخيرًا اهتدى العلماء إلى التعريف الدقيق للإنسان وهو حيوان له تاريخ .

• بماذا تنصح الصحفيين الجدد ؟

ـ الجدد والقدامى أقول لهم لا يكتب أحدكم إلا وبجواره كتاب ، كل المعارف محفوظة فى بطون الكتب ، الصحافة ثقافة وليست فهلوة ، مقال واحد تخلص فيه أبرك ألف مرة من عشرات المقالات المتعجلة . إذا كتبت لا تخف وإذا خفت لا تكتب . لا تعش وعلى عينيك عصابة .

شيئان مهمان مطلوبان من الصحفى هما الكفاءة والأخلاق الحميدة ، والكفاءة لا تغنى عن المسئولية الأخلاقية .

• هل حقًا ـ فى رأيك ـ ممكن أن يكون للموسيقى تفسير سياسى ؟

ـ الموسيقى ليست أصواتًا جوفاء ولكنها تصوير بالصوت والإيقاع لعديد من الصور والعلاقات الإنسانية ، وما دامت الموسيقى تصوير للحياة الإنسانية ، فإننا لا يمكن أن نفهمها إلا إذا وضعناها فى سياق العصر الذى أنتجها بكل ظروفه السياسية والاجتماعية . إذن فكما نقرأ تاريخ المجتمع الإنسانى فى السياسة والأدب والاقتصاد ، فإننا نستطيع أن نقرأه أيضًا فى الموسيقى .

• ما رأيك فى « السياسة » ؟

ـ هى الحياة ، هى المعاملة ، هى تهيئة المناخ المريح للإنسان عامة مع احترام آدمية البشر وخصوصياتهم . لقد كنت طوال حياتى الفكرية لا أتوانى عن أن أكون فى قلب الأحداث التاريخية التى صنعت مقدرات هذا الوطن ، كانت هموم مصر هى شاغلى الأول ، وآمال هذا الشعب وطموحاته هى الهدف الأسمى لوجودى . الحياة بالنسبة لى كانت فى عطائى الدائم لكل من حولى وكل من قصدنى . لقد كنت مهمومًا بمشاكل كل من حولى .

• حتى قيل إنك كنت تريد السعادة للجميع ، وإن مقالاتك كانت سببًا فى همومك .

ـ بل وسبب مرضى الأخير .

• ما هى أهم القضايا الوطنية التى أثرتها ؟

ـ لقد أثرت الكثير من القضايا ، لقد وقفت ضد فكرة بيع قناة السويس ، كنت مدافعًا صلبًا فى قضايا الحريات ، ولعل من أهم القضايا التى شكلت محورًا مهمًّا فى حياتى هى الدفاع عن « الجمال » .

• ولعل ذلك ما دفعك لأن ترأس تحرير مجلة « الشموع » التى أوضحت فى أول أعدادها ، أنها صدرت لمحاربة القبح والركاكة فى جميع المجالات ، والدعوة إلى قيم الجمال فى الفن والأدب والسلوك فى الشارع والبيت وشتى نواحى الحياة .

ـ لقد كان إيمـانى عميقًـا بـأن الجمـال ليس سلعة كمالية يمكـن الاستغناء عنها ، فحاسة الجمال جزء من إنسانية الإنسان .

• أسـتاذ (بهـاء) ، ماذا كنت تعنى بما كتبتـه فى يومياتك بأن الشارع مدرسة ؟

ـ الشـارع مدرســة إذا أدركنــا أن التعليـم ليس فقـط القـراءة والكتـابة ، ولكنـه يشـمل القيم والعادات والأخلاق الاجتماعية .

• بمعنـى ؟

ـ إن منا من يسكن الدور والقصـور ،ومـن يسـكن الأكـواخ ، وفينا من يقطن ناطحة سحاب مطلة على النيل ومـن يسـكن فـى حارة لا ترى النور فى بولاق ، وفينـا مـن يركـب سـيارة ومـن يركب الدراجة ومن يسير على قدميه ، ولكن هناك مكانًا واحـدًا نشترك فيه جميعًا ونتحرك فيه جميعًا ذلك هو الشـارع .

• أعتقد أن كل بـلاد العـالم التـى تخـدم نفسـها وشـعوبها لديهـا قواعـد لهـذا الشـارع يخضـع لهـا الجميـع ، علــى أن توفـر الدولـة بالطبع الظـروف التى تمكن المواطن مـن احتـرام هذه النظم والقواعد ، لا أن تطالبه بالمستحيل .

ـ مع الأسـف نحن فى مصر على العكس تمامًا ، الشارع هـو مكان الفوضى والاستهتار وعدم احترام القواعد ، فالمرء قد يهتـم بنظـافة مســكنه ولكنــه يلقى قـاذوراتـه فى الشــارع ، وأصـحاب

الدكاكين يعتبرون محلاتهم مجرد نقطة ارتكاز ينطلقون منها إلى احتلال الأرصفة ، وصاحب ورشة تصليح السيارات لديه دكان من خمسة أمتار مربعة ، ولكن السيارات التى يصلحها تملأ أرصفة شارع بأكمله ، دون أن يدفع عنها مليمًا إيجارًا . أصحاب العمارات يهتمون ببناء العمارة ذاتها ، ولكنهم يدمرون الشارع الذى كان مرصوفًا ، ولا يكلفون أنفسهم ولا أحد يكلفهم عناء إصلاح الجزء الذى حطموه . فتحولت الشوارع والأرصفة إلى أرض خراب ، وكأنها لم تعرف الأسفلت فى حياتها قط .

- **ما تقوله يا أستاذ (بهاء) ، يذكرنى باللافتات الضخمة التى توضع فى مكان بارز من الحى مكتوب فيها «حى (كذا) يرحب بكم» ، ثم لا نجد أثرًا لهذا الترحيب لا فى رفع أكوام القمامة ، ولا فى تمهيد طريق أو إخلاء رصيف يسير عليه المشاة .**

- لذلك كنت دائمًا أطالب بإعادة الاعتبار للشارع الذى هو ملكنا جميعًا ، واعتبار أن يعرف المواطن حقوقه وواجباته نحو الغير مهمة أساسية ، وكذلك يجب أن نربى حاسة الذوق ونخلق الشعور بأن النظافة من الإيمان ، وبالطبع هذا كله لا يحتاج إلى أموال أو اعتمادات أو عملة صعبة . إنه يحتاج فقط إلى جهد وشعور بالمسئولية ، وتطبيق القوانين . أعتقد أننى أوضحت معنى أن الشارع مدرسة .

• ما رأيك فى الشباب ؟

ـ إن الشباب يكون ثائرًا بقدر مايكون هناك شىء آخر يثيره ويستفزه ويتحداه .

• ما رأيك فى النساء ؟

ـ أفضل المرأة ذات الشخصية القوية ، أحب فى المرأة فكرها وعقلها وثقافتها ، وتعجبنى المرأة ذات الجمال الهادئ الطبيعى لا الصارخ . المرأة أكثر تركيزًا من الرجل فى تحويل الحب إلى زواج ، وأكثر ميلاً إلى إقامة بيت والاستقرار فيه .

• ما رأيك فى الحب ؟

ـ الحب هو التضحية والعطاء لا المباهاة والجاه ،وعندما يتقهقر الحب يحل محله شعور مزدوج من الحرمان والاشتهاء ، الاشتهاء هو اقتناص لذة عابرة ، أما الحب فهو إحساس بنّاء تمتزج فيه العاطفة بالمسئولية .

• هل هناك ما هو أقوى من الحب ؟

ـ الفقر والزمن .

• كيف كنت تتعامل مع الكذابين والمنافقين ؟

ـ بالكلمة المكتوبة ، فيجب أن تعرف أن الكلمة المكتوبة تعود لصاحبها لتحاكمه أو تعاتبه أو تشكره .

• ما هى أمنياتك لمهنة الصحافة التى أخذت منك كل حياتك ؟

ـ أهم شيء فى مهنة الصحافة هو العنصر البشرى ، الصحفى ذاته يجب أن يبذل مجهودًا أكبر فى تنمية الكفاءات والقدرات البشرية التى تصنع الصحافة ، لأنه فى النهاية ما يصنع الجريدة ليس الماكينة التى تطبع مليون نسخة فى الساعة ، ولا الماكينة التى تطبع سبعة ألوان ولكن من يصدر الجريدة ويكون السبب فى ظهورها هو الصحفى . فالصحفى أهم مائة مرة من الأجهزة والآلات .. هذا رأيى برغم كل ما يقال من أن مهنة الصحافة مهتمة أكثر من اللازم بالتقدم التكنولوجى .

• أستاذ (بهاء) ، لقد كان لك رأى فى إنشاء أقسام الصحافة فى الجامعات ؟

ـ لقد كنت ضد إنشاء أقسام الصحافة فى الجامعات ، وضد إنشاء كليات الإعلام .

• لقد كان من رأيك أن الصحفى الموهوب يستطيع أن يعرف كيف يحصل على الخبر أو يكتب التحقيق الصحفى فى عدة أسابيع .

ـ لقد كنت أختار للعمل معى فى الصحافة خريجين من كليات متعددة لأن الصحافة ـ فى رأيى ـ موهبة خاصة تتطلب استعدادًا خاصًا ، وأن المهارات الصحفية ليست هى ما ينقص الصحفى لكى يتعلمه فى كلية خاصة .

• على كلٍّ لقد كانت لك آراء قيمة فى المجالات الثقافية والفنية ، فما أكثر ما كتبت نقدًا لمؤلفات وأفلام وشخصيات مصرية وعربية وأجنبية . ويا حبذا لو عرفنا رأيك فى الكاتب (يحيى حقى) .

ـ لقد قلت عن الكاتب (يحيى حقى) إنه فنان بالغ الأناقة فى نفسه بالسليقة ، وكذلك فى مقالاته وفى كتاباته النقدية وفى رفاهة حسه ، فهو الفنان الكامل من أى زاوية نظرت إليه .

• أستاذ (بهاء) . إنك لم تكن مجرد كاتب موهوب أو صحفى كبير فحسب ، بل كنت حالة خاصة يمتزج فيها الإبداع بالالتزام ، والعقل بالعاطفة ، والأدب بالفكر ، والصحافة والتاريخ بالمستقبل ، والعدل بالحرية ، والشجاعة بالحذر .. ويحسب لك أنك لم تلجأ يومًا إلى اللمز والغمز والشك والتربص وقطع العيش ، وهذا ما يقوله شباب الصحفيين الذين تتلمذوا على يدك وتخرجوا من مدرستك ، وهم اليوم نجوم لامعة فى سماء الصحافة المصرية والعربية .

ـ أما زال فى حوارك بقية .

• بالطبع .. فهل يعقل أن نتجاهل الحب والزواج فى حياتك ؟ إننى أعتبر حوارنا عنهما بمثابة استراحة قصيرة نكمل بعدها حوارنا .

★ ★ ★

(٧) بهاء .. الحب والزواج والأبناء

• ماذا عن أول حب فى حياتك ؟

ـ لقد كان وأنا تلميذ فى الثانوى وكان عمرى ١٢ سنة . مدرستى كانت فى حى أرستقراطى هادئ ، تقع فى مواجهة قصر له حديقة ، يسكنه أمير من الأسرة المالكة وزوجته وطفلة فى العاشرة من عمرها . لقد اكتشفت أن نافذة فصلى تطل مباشرة على قصر الأمير ، وبالذات على شرفة كبيرة فى الدور الثانى تلعب فيها الأميرة الصغيرة .

• وبدأت تتسلل خلال الفسحة من فناء المدرسة إلى الفصل لتحدق فى الأميرة .

ـ ثم خطوت خطوة أخرى ، اشتريت بمصروفى شيكولاتة وألقيتها لها فقبلتها وهى تضحك .

• وبالطبع بدأت المغامرات وقررت أن ترى الأميرة عن قرب وبأى ثمن . حتى كان ذلك اليوم الذى انصرفت فيه من المدرسة الساعة الرابعة عصرًا .

ـ وكانت الأميرة فى الحديقة تلعب ، وكان معى كرة قذفتها إلى داخل الحديقة ، ثم ذهبت إلى البواب ورجوته أن يسمح لى بالدخول لأبحث عن الكرة .

• ووافق البواب ودخلت ومررت بجوار الأميرة وضحكت وجرت إلى الكرة وأعطتك إياها وعدت .

ـ المهم لما حاولت تكرار العملية بعد يومين صرخ البواب فى وجهى ، ونادى خادمًا وأحضر الكرة من الحديقة وأعطانى إياها .

• بعد يومين كانت كل النوافذ التى كانت بالمدرسة وتطل على القصر قد تم إغلاقها ، بعد أن اتهم الأمير أحد كبار التلاميذ بمعاكسة الأميرة زوجته .

ـ ولم يعلم الأمير أنه حطم قلب فتى صغير فى سنة ثانية أول .

• دعنا من هذا الحب الطفولى وافتح لى قلبك عن حب حقيقى صادفته ..

ـ كان ذلك عام ١٩٥٩ ، أما هى فقد كانت فتاة صحفية جذابة صغيرة الحجم أنيسة الطبع فياضة النشاط والحيوية ، وكنا ثلاثة رجال نجلس فى المجلة .

• أنت و(إحسان عبد القدوس) والدكتور (مصطفى محمود) ..

ـ ووجهت إحدى الزميلات الخبيثات لها وهى جالسة معنا سؤالاً فحواه من تختار منا نحن الثلاثة زوجًا لها ، وبدون تردد اختارتنى أنا .

• يبدو أن هذا الاختيار الخاطف جعل الدفء يسرى فى قلبك .

ـ وسرعان ما انقلب الدفء إلى حماس ، وانقلب الحماس إلى التفكير فى الزواج . وبدأت بالفعل الإعداد للارتباط بهذه الصحفية الشابة الجميلة ، وبالفعل أعلنا خطبتنا رسميًا وقررنا الزواج بعد شهور من الخطبة . ولكن مع الأسف لم نكمل المشوار .

• الحقيقة أنها هى التى تراجعت ولم تكمل المشوار ، فقد تهييت إتمام الزواج بعد أن اكتشفت تعارضًا فى الطباع بينكما .

ـ وظل قلبى يتمزق ، وأحسست كأنى سقطت تحت عجلات لورى وتوقفت رغبتى فى الرد على المعجبات اللاتى كن يطلبننى فى التليفون وكاد يصيبنى الاكتئاب .

• يا أستاذ (بهاء) كل هذا عمله فيك رفض الصحفية الشابة الحلوة حسن شاه الزواج منك . تلاقيك فكرت تضرب عن الزواج .

ـ أبدًا .. الذى حدث أننى بعد فترة قصيرة تلقيت مكالمة تليفونية من طالبة فى كلية الآداب ، قسم اللغة الإنجليزية ، وسألتنى سكرتيرتى بخبث وخفة ، هل ترد عليها وتقول إننى مت ؟

• ماذا كانت تريد طالبة الآداب منك ؟

ـ كنت قد كتبت مقالاً عن معسكرات الاعتقال فى الاتحاد السوفيتى ، واستفزّ المقال طالبة الآداب « ديزى روفائيل أرمانيوس » فأرسلت إلىّ خطابًا عنيفًا اتهمتنى فيه بأننى عميل أمريكى ، أحاول تشويه الاتحاد السوفيتى ، ووقعت الخطاب باسمها والكلية التى تدرس فيها . لقد أرسلت لها خطابًا أدعوها للحوار وجهًا لوجه بدلاً من الاتهام القاسى الذى ألصقته بى .

• وطلبتك فى التليفون وحاورتك عن بعد أكثر من مرة ، ولم تذهب لمقابلتك .

ـ ومضت الأيام ، ورأتنى مصادفة أدخل إحدى المكتبات

فى شارع قصـر النيـل ، وكـانت لحظتها جالسـة إلـى صديقتها صاحبة المكتبة .

• **التى أشارت إليك قائلة : هذا هو (أحمد بهاء الدين) .**

ـ ومنذ ذلك اليوم تعارفنا وتحاببنا ودعوتها إلى السينما . وبدأت الحكاية تدخل فى الجد برغم كل الظروف الشائكة والقاسية التى مرت بنا .

• **ما هى تلك الظروف ؟**

ـ لقد رفضت أسرتها قبولى زوجًا لها لاختلاف الدين ، ولكن للحب أحكامه . وخرجت (ديـزى) مـن بيت أهلها « بالهدمـة التى كانت عليها » بلوزة وجونلة .

• **متى تزوجت ؟**

ـ تزوجت فى نفس الشهر الذى توليت فيه رئاسة تحرير أخبار اليـوم .

• **هل لك أن تصدقنى القول ، كيف واجهتما ظروف الحياة مـن سكن ومعيشة بمواردكما القليلة ؟**

ـ استأجرت شقة من حجرة واحدة وصالة ومطبخ فـى الـدور الأخير من عمارة نظيفة ، وكان فى الحجرة دولاب فى الحـائط فاشتريت سريرًا ، وبعد شهور كـان فـى الصالـة مكتـب صغير ورفـوف كتـب قليلـة وركـن صغير مـن مقـاعد خفيفـة الـوزن ولوحات على الجدران .

• وظللت على هذه الحال حتى اقترب موعد مولد ابنتك .

ـ فبدأنا نبحث عن شـقة أكبر عـام ١٩٦٠ ؛ وبالفعل عثرت زوجتى على شقة أربع حجرات وصالة ، واستأجرتها فى غيابى حيث كنت وقتها فى أمريكا .

• ونقلت العفش إلى الشقة الجديدة .

ـ ويمكن تحـديد العفش بالسرير والمكتب الصغير والرفوف والمقاعد الخفيفة . هذا « العفش » استخدمنا له غرفة وصالة ، وأغلقنا بقية غرف الشقة فارغة .

• ألم يضايق ذلك زوجتك ؟

ـ بالعكس ، الحياة على هذا النحو لم تكن تؤلم زوجتى ؛ فهى كانت تشاركنى أفكارى وقراءاتى السياسية ، كما كانت تفهم فى الحرب الباردة ونزع السلاح والتوازن النووى وعدم الانحياز ..

• ألم يؤلم زوجتك استمرار مقاطعة أهلها لها ؟

ـ لقد كان يؤلمها ذلك كثيرًا ، وخاصة شقيقتها التى كانت تحبها جدًّا حين قابلتها وسط القاهرة مصادفة وحاولت أن تهم بمصافحتها ولكنها رفضت ، وأسرعت وتركتها وعبرت إلى الرصيف الآخر .

• هل كان لهذه المقاطعة أثرها على حرمكم سواء بعد زواجكم أو على المدى الطويل ؟

ـ لا أعتقد أن ما أصيبت به زوجتى (ديزى) بسرطان القولون الذى أدى إلى إجراء جراحة قطعت أجزاء منه سببه ابتعادها

عن أسرتها أو مقاطعتها لها . لقد كانت (ديزى) صلبة وتتسم بالشجاعة ولا تحب الشكوى ، كما لم تحاول أن تقلقنى أو تسبب لى أى إزعاج ، مخفية آلام مرضها حتى شفاها الله .

• آه يا أستاذ (بهاء) لو عرفت أن هذه السيدة التى تحملت مرضها فى شجاعة ... ظلت خلال فترة مرضك وهى ست سنوات تذرف الدموع فى صمت بقلب اعتصره الحزن ونفس راضية بقضاء الله ـ وهذا سوف نعود إليه فى حوارنا عن مرضك .

ـ إننى لا أنكر أن زوجتى (ديزى) قد واجهت منذ البداية مسئولية الحفاظ علىَّ ككاتب مصرى . حريصة على استقبال أصدقائى وزملائى ، تتمتع بذكاء غير عادى ، لها رأى واضح يتسم بالسخرية أحيانا فى كل ما تقرؤه .

• كما كانت لبقة الحديث مع الكتاب والرسامين بثقافة عالية ..

ـ وبعد أن زالت الجفوة مع الأيام مع عائلتها فى طنطا ، أخذت كل العاملين معى وتناولوا الغداء مع أسرتها .

• أستأذنك يا أستاذ (بهاء) أن نعود الى شقتك الجديدة كيف تم فرشها ؟

ـ لما كان لدى حاسة تذوق فنى ، فقد كان اهتمامى بالذوق أولاً ، والجميل مهما كان بسيطًا . وقد ساعدنى ذلك كثيرًا على انتقاء أثاث بيتى قطعة قطعة .

• من أين اقتنيت أثاث شقتك ؟

ـ بصراحة من محلات الأثاث القديم وخاصة الموجودة فى

حى العطارين بالإسكندرية . وأذكر أننى اشتريت مكتبًا فرنسى الصنع بأربعين جنيهًا ، ومكتبة إنجليزية الصنع بمائة جنيه ، وكرسيًّا إنجليزيًّا طراز كوين آن بعشرين جنيهًا ، وهكذا أكملت شقتى بالعفش والسجاد المريح للعين والأعصاب ، واللوحات والمقتنيات الفنية ، رسمًا وتماثيل .

• أما عن اللوحات والمقتنيات الفنية ، فأعتقد أن سر اهتمامك بها هو أنك كنت تحلم يومًا أن تكون رسامًا ، ولكن طموحاتك فى عالم الصحافة دفعتك للتخلى عن هذا الحلم الجميل ، وإن كنت لم تتخل عن حبك للرسم الذى تبين بوضوح فى اقتنائك الكثير من اللوحات لأشهر الفنانين والفنانات .. ومن هذه اللوحات ما وضعته متجاورًا فى تناسق وتوافق وذوق رفيع .

ـ ومن اللوحات التى تتصدر أحد جدران منزلى لوحات رائعة صورت جانبًا من المقاومة الوطنية للحملة الفرنسية ، كما صورت أحداثًا فى تاريخ القاهرة .

• الأمر الذى يؤكد شغفك بالتاريخ . على كلٍّ لا أذيع سرًّا إذا قلت إن بيتك يعتبر متحفًا للوحات الفنية ، منها التجريدى والانطباعى والسريالى وغيرها من المدارس التشكيلية .

ـ لقد كنت عاشقًا لمصر ، لذلك تجد الكثير من اللوحات التى تزين جدران منزلى لوحات آثار مصر .. معبد أبو سمبل ـ الصباح فى ريف بلدنا ـ النورج سلاح الفلاح ـ باقة الورد ..

• وغيرها الكثير مما يحويه مسكنك والذى لا يقدر بثمن .

ـ على فكرة هذه اللوحات من رسم الفنانين : (تحية حليم) ، و(حسن سليمان) ، و(آدم حنين) و(جاذبية سرى) ، و(أنجى أفلاطون) وغيرهم .

• ماذا فى مكتبتك من كتب ؟

- ملفات السويس (محمد حسنين هيكل) ، معالم تاريخ الإنسانية (هـ . ح . ويلز) ، فى منزل الوحى د. (محمد حسين هيكل) ، وتاريخ مدينة دمشق (الحافظ بن عساكر) ، والحروب الصليبية (حسين أحمد أمين) ، وتاريخ شعوب وادى النيل فى القرن التاسع عشر ، والموسوعة الفلسطينية ، وتاريخ الجبرتى .

• وعشرات وعشرات من الكتب فى كافة التخصصات .

- على فكرة شقتى هذه هى التى شاهدت ولادة ابنى (زياد) وتربيته مع شقيقته (ليلى) ، والتى جمعتنى مع زوجتى العزيزة (ديزى) في أحلى أيام العمر وأجمل الذكريات .

• من هم أفراد أسرتك ؟

- ابنى (زياد) محام ومتزوج من (هانية محمد شلقامى) بجامعة أكسفورد ، وابنتى (ليلى) وتعمل بالسلك الدبلوماسى ومتزوجة من (أمجد عبد الغفار) السكرتير الأول لسفارة مصر فى واشنطون ، ولهما طفل اسمه (بهاء الدين) .

• كيف ربيت ابنك (زياد) وابنتك (ليلى) ؟

- لقد مكنتهما من أن يعيشا طفولة سوية ، فقد حرصت على أن يندمجا مع الناس ، وأن يشعرا بهم ويشاركاهم . لم أحاول أن أفرض رأيى عليهما . بل كنت أستمع جيدًا لهما ، وأناقش كل أمورهما فى هدوء تام ، لقد كنت أترك لهما حرية الاختيار ، فى الوقت الذى كنت أراقب فيه كل أمورهما .

• أعتقد أنك لم تتدخل فى حياتهما بشكل مباشر .

ـ بل كنت دائمًا أتجنب أن تكون لى إجابة مباشرة ، فقد كنت أريد دائمًا أن أشركهما وأشعرهما بضرورة الاعتماد على النفس .

• لقد حاولت أن تكون قدوة لهما كى يتأثرا بك ويتعلما منك .

ـ دون أن ألقى عليهما ما أريد بطريق الأوامر .

• وماذا عن حياتك الأسرية ؟

ـ لقد كنت حريصًا على أن أوثق علاقات أسرتى مع كل أصدقائى ، حتى عندما ذهبت إلى الكويت لم أعزل أسرتى بل جعلتها تتواصل مع العائلات الكويتية . لقد كنت أحب الدفء الأسرى والتواصل الإنسانى ، لذا كانت علاقاتى مع أصدقائى ضرورة فى حياتى .

• لم تكن تحب فرض القيود أو اختيار حياة أبنائك كما ترغب ..

ـ ولكننى كنت أراقب وأشارك . حقًّا لم أتحمس لأن يحترف (زياد) الصحافة أو الموسيقى ، ولكننى لم أرفض . فقط ناقشت الأمر .

• ولم تتحمس لأن يكون لـ (زياد) علاقة بالصحافة ، لأنك اعتقدت أن المسألة مجرد تقليد وليس قناعة وقدرة ، لذلك حين اختار كلية الحقوق ظننت أنه دخل الكلية التى تخرجت أنت فيها على سبيل التقليد . كما لم ترحب بفكرة أن يعمل بالموسيقى لأنك رأيت أنه لن يحقق إنجازًا كبيرًا فى هذا الاتجاه .

ـ لقد أردت أن تكون اختياراته عن قناعة لكى ينجح فيما يريد .

• ماذا أخذ ابنك (زياد) من شهرتك يا أستاذ (بهاء) ؟

ـ أخذ حب الناس واحترامهم .

• وقد ظهر ذلك جليًّا وبوضوح عندما مرضت ، وظللت ست سنوات ، فقد كشف المرض لاسرتك عن القدر الهائل من احترام الناس من الأقطار العربية كافة ، فلم ينقطع سؤال الناس عنك وعنهم ، ولم يتوقف سيل المشاعر الفياضة النبيلة ، هذا ما جعل ابنك وابنتك يفخران بك ويشعران بأن أباهما إنسان عظيم حتى بعد أن رحلت عن دنيانا . على كلٍّ اطمئن يا أستاذ (بهاء) ، فإن ولدك الأستاذ (زياد) المحامى يدرس الدكتوراه فى لندن ، كما أنه يجيد الكتابة ، وعندما طالبه أحباؤك من أصدقاء القلم والصحافة بعد وفاتك أن يكتب عنك قال : « لا أقدر أن أكتب عنه الآن ، فأنا أكثر من يعرف أن أبى كان رجلاً عظيمًا ، وأن من يتحدث عنه يجب أن يكون مدركًا لكل عالمه الرحب ، وربما يمكننى ذلك بعد عشرين عامًا » .

ـ أما ابنتى (ليلى) فأطمئنك إلى أننى كنت عادلاً فى مشاعرى معها ومع شقيقها (زياد) ،وهى متزوجة من الدبلوماسى (أمجد عبد الغفار) الذى كان يعمل فى واشنطون ، وتقيم معه هناك ، ولديها طفل أسمته (بهاء الدين) .

• ما الذى أعجبك فى (أمجد عبد الغفار) عندما تقدم لطلب يد ابنتك (ليلى) ؟

ـ لقد أعجبت به لأن تفكيره كان مثيرًا وأنه يعرف ماذا يريد ، وأحسست أنه طموح ومهتم بمستقبله .

• ماذا كان يرى أولادك وهم صغار فى جلساتك الأسرية ؟

ـ تقصد جلساتى مع أمهم العزيزة (ديزى) . كانا يراقبان مناقشتنا الدائمة ، وما نتطرق إليه من أحاديث سواء فى السياسة أو الفن أو الكتب الجديدة ، لأننى كنت لا أجد الوقت الكافى للجلوس معهم ومناقشتهم والتحدث معهم ، ولكننى تنبهت لذلك فحاولت أن أعوضهم .

• أفهم من ذلك أن شئونك الخاصة كانت دائمًا فى المؤخرة .

ـ لذلك قد تدهش لو قلت لك إننى لم أستمتع بحياتى الخاصة أو بشبابى كما يجب أن أستمتع .

• أستاذ (بهاء) .. كيف استقبلت خبر ولادة ابنك (زياد) ؟

ـ كنت فى نيويورك عام ١٩٦٤ ، عندما تركت زوجتى (ديزى) على وشك الوضع ، ونزلت ضيفًا على صديقى (أكرم ميدانى) الذى كانت زوجته (واطفة) فى ذلك الوقت نزيلة المستشفى يجرى لها جراحة ، وتسلمت برقية من (ديزى) مكتوب فيها « مبروك إنه ولد » . واستولى على الفرح وقمت بحركة تلقائية وفتحت الثلاجة وسحبت حلة الملوخية فوجدتها متجمدة ، وأحضرتها إلى المائدة ومعها سكين حادة وأخذت أنشر من الحلة قطعة كبيرة لأضعها على النار .

• وهكذا احتفلت مع صديقك (أكرم ميدانى) بمولد ابنك (زياد) الذى كنت متفقًا مع زوجتك قبل مغادرتك القاهرة على تسميته (زياد) .

ـ نعم احتفلت بمولده بأكلة ملوخية . فقد أصرت زوجة صديقى على إعدادها عندما عرفت أننى فى طريقى إلى نيويورك ، لأنها كانت تعرف هى وزوجها أننى من عشاق الملوخية فطبختها قبل أن تتوجه مباشرة إلى المستشفى .

• أستاذ (بهاء) هل عانى ابنك (زياد) بسبب ظل والده ؟

ـ أى أب مشهور فى عمله حين يعلم أبناؤه أن لهم حق الاختيار ، فلن يكون له ظل عليهم وسيتصرفون حسب مواهبهم .

• هل حقًا كنت ترسل لزوجتك مدام (ديزى) خطابات كلما سافرت خارج مصر ؟

ـ لقد كنت أحرص عندما أسافر خارج مصر على أن أكتب إليها من كل بلد أذهب إليه خطابًا لم تكن كلماته سطحية ، حتى فى الكتابة عن مشاعرى كنت بليغًا حساسًا .

• على كلٍّ زوجتك قالت عنك الكثير ، ومما قالته أنه كان لديك اقتناع كامل بكل ما تكتبه وتنادى به وهو ما كنت تعيشه بالفعل ، أو ما تستطيع أن تفعله وتعيشه عن المرأة وحقوقها ، وأنك أعطيتها هذه الحقوق كزوجة ، فلم تعرف

الأقنعة فى حياتك ، ولم تكتب سطرًا واحدًا لم تؤمن به . وإن الناس قد أحبتك لإحساسهم العميق والصادق بأنك لم تضحك عليهم .

ـ هل حصلت من (ديزى) على أى من خطاباتى إليها ؟

● مع الأسف فهى تفرض على رسائلك إليها بالذات « ستارًا حديديًا » . ومن يدرى فقد تفرج عنها مع الأيام ليرى محبوك انعكاسات حبك الصادق لزوجتك . وعلى كلٍّ حال يا أستاذ (بهاء) وإن كنا لم نحصل على رسالة منك لزوجتك ، إلا أنه لم يفتنا رسالة منك إلى ابنتك (ليلى) ، وسنقدمها كنموذج من رسائلك الأسرية .

ـ أعتقد أنها تلك الرسالة التى أرسلتها إليها من لندن فى أغسطس عام ١٩٧٨ .

● ترى ماذا كتبت لها فى رسالتك ؟

ـ لقد قلت لها فى رسالتى :

عزيزتى (ليلى) :

إذا وجدت مجلة (صباح الخير) سوف تجدين موضوعًا بعنوان « رسائل إلى ابنتى » . كان ذلك سنة ١٩٥٥ ، لم تكن لى زوجة ولم تكن لى بنت ، لكن ستجدين رسالة بقلمى .

عزيزتى (ليلى) كنت أنوى إذا تزوجت وأصبحت لى ابنة أن أسميها (ليلى) . طبعًا أنا لا أتذكر الآن ـ بعد ٢٣ سنة ـ ماذا

كتبت وقتها ، ربما قلت كلامًا فارغًا ، ربما أكون قد غيرت رأيى مع الزمن . ولكن لا أظن أن شخصيتى قد تغيرت كثيرًا ومرحلة دخولك الجامعة ، ووصولك إلى مرحلة معينة من العمر مسألة مهمة جدًّا بالنسبة لأى أب أو أى أم ، وأعتقد أن من حسن حظك أن لك أبًا وأمًّا يهتمان بحياتك حتى لو ضايقك هذا ، وقد لا يكون هذا رأيك الآن ، ولكن ستعرفين ذلك يومًا .

هذه المرة كنت مشغول البال طوال إقامتى فى لندن . ماذا تفعلين خصوصًا وأننى وجدت أنك فى القاهرة ، كنت مترددة فى اختيار البلد والكلية ، وكنت أشعر بعدم اهتمامك بالموضوع عمومًا . كان هذا أحد أسباب سفرى ، القلق يمرضنى ، وقلقى كان مزعجًا لكم وليس لدى ما أفعله ، وفى لندن وجدت قلقى معى دون جدوى إلا تليفونات كل يوم مع الكويت أنفس بها عن نفسى بلا نتيجة . أحب أن تعرفى أننى أقول لك ما أفضله ، ولكن دون ضغط .. هذا واجبى . أنت حرة فى اختيار القاهرة أو الكويت ، المستقبل ليس كله فى أيدينا ، ولا نعرف الغيب ، واختارى الكلية التى تحبينها لا الكلية التى مجموعها أكبر أو يخيل لك أنها أهم . الإنسان يسعد إذا درس ما يحبه ، وليس ما هو موضة أو شياكة . وأنا مسافر غدًا الخميس إلى (كان) . سأحاول أن أنسى لأننى تعبت .. حين أصل إلى (كان) سأرسل (تلكس) بعنوانى ، وإذا كان حضورى مطلوبًا لك فى القاهرة أرسلى (تلكس) فورًا . إذا لم يصلنى شىء سأسافر إلى الكويت . وإذا كنت قبلت فعلاً فى كلية ما أرسلى (تلكس) بذلك أيضًا .

اليوم عيد ميلاد (زياد) ، أرسلت له منذ أيام بالبريد الجوى كارتًا ظريفًا ، أرجو أن يكون قد وصله يوم عيد ميلاده . قبلاتى لكم جميعًا . (بهاء) . »

• أعتقد أن هذا الخطاب كشف لنا الكثير عن جوانب مهمة فى شخصيتك كأب ، وأسلوب تفكيرك وتربيتك .. كأب مسافر كان يطاردك القلق على مستقبل ابنتك .. لم تخجل أن تقول لها « وربما أكون قد غيرت رأيى مع الزمن » . كما أهديتها نصيحة قيمة ثمينة « أعتقد أنه من حسن حظك أن لك أبًا وأمًّا يهتمان بحياتك حتى لو ضايقك هذا » .

ـ أعتقد أن (ليلى) عرفت جيدًا الآن . كم كان اهتمامى بها شديدًا وجميلاً ، كم كنت عادلاً فى مشاعرى معها ومع شقيقها ، وأننى لم أفرق بينها وبين أخيها فى معاملتى لهما .

• على فكرة خطك فى الخطاب كان يقرأ بصعوبة .

ـ قلها صراحة حروف خطى الردىء .. برغم أننى كاتب الجواب بسن قلمى المقلوب فأنا أحب أن أمسك القلم بالمقلوب .. عاوز تعرف ليه ، لأن هذا أكثر راحة ليدى ويفصل الحروف عن بعضها حرفًا حرفًا ليستطيع عامل الجمع أن يستوعبه ولا يخطئ فى كلمات وحروف خطى الردىء الذى لا يستطيع أن يقرأه إلا القليلون .

• على كلٍّ يا أستاذ (بهاء) . لقد عرفنا معلومة جديدة بأنك كنت تكتب مقالاتك ورسائلك بسن القلم المقلوب .

ـ على فكرة أنا كنت حريصًا على استخدام القلم الحبر الشيك في كتاباتي .

• أستاذ (بهاء) باعتبارك من ألمع الصحفيين وأقدرهم في مصر ، الذين عاصروا ملكًا وثلاثة رؤساء جمهورية ، فهل تأذن لي أن يتضمن حوارنا ـ بقدر الإمكان وباختصار ـ الحوادث المهمة لكل فترة منها بما عرف عنكم من شجاعة وصدق ؟

* * *

(٨) بهـاء .. زعماء وعصور

ـ فى العهد الملكى نشرت مقالاً فى مجلة « اللواء الجديد » التى كان يصدرها (فتحى رضوان) زعيم الحـزب الوطنـى ، وقدمت إلى النيابة بسببه متهمًا بأننى أدعو إلى قلب نظام الحكم . أمـا فـى عام ١٩٤٩ فقـد كانت مظاهرات كوبرى عباس ـ التى سبق أن تطرقنا إليها ـ والتى عدت منها مفتوح الدماغ والتزمت الفراش لبضعة أيـام .

• أعتقد أنك فى العهد الملكى طالبت بتأميم تجارة القطن .

ـ وقامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ وفضحت مساوئ الملك وفساد حكمه . والحقيقة أننى لم أكن تابعًا للثورة ومؤيدًا لها على طول الخط برغم أنها كانت حلمى ، وكان بداية صراعـى مـع الثـورة سببه الرقابة على الصحف التى كنت أعتبرها من أبرز مسـاوئ الثورة . ولأننى صحفـى حـاولت التهرب من الرقابـة بمختلـف الطرق .

• كيف بدأت علاقتك بالرئيس (جمال عبد الناصر) ؟

ـ قد تدهش لو عرفت أننى لم ألتق بـالرئيس (عبـد النـاصر) شخصيًّا برغم وجود مساحة مشتركة بيننا ، وبرغـم مصـاحبتى للرئيس فى كثيـر من رحـلاته الخـارجيـة . وعلى كل حـال لـم تمض الأمور بيننا فى يسر وسلاسة خلال فترة حكمه .

• **هذا ليس بخافٍ . فنقلك من رئاسة تحرير أخبار اليوم إلى رئاسة مجلس إدارة الهلال ، كان بمثابة تحديد الرئيس لإقامتك ، أونفي لك .**

ـ ومع ذلك نجحت ، وانتقلت بمجلة المصور لتصبح أهم مجلة أسبوعية فى الوطن العربى ، ينتظرها القراء فى كل مكان .

• **من المعروف أنك كنت قريبًا من فكر الرئيس (جمال عبد الناصر) ، وقدمت لنظامه خدمة حقيقية كمفكر مساند لقضايا ومبادئ ومواقف هذا العهد . وباختصار كنت من أنصار الثورة المتعصبين .**

ـ ومع ذلك واجهت المكائد والمتاعب بما لا يمكن تصوّره ..

• **برغم أنك كنت سعيدًا بقيام ثورة ٢٣ يوليو ، وكنت أحد المتحمسين لها واقتربت للثورة أكثر عندما اختارك (صلاح سالم) رئيسًا لتحرير جريدة الشعب .**

ـ لكن بعد أن انضمت جريدة الشعب إلى جريدة الجمهورية التى كانت أول جريدة يومية للثورة ، آثرت أن أكون أحد رؤساء تحرير جريدة الأخبار ..

• **لقد اقتربت من الرئيس (عبد الناصر) عندما أصدر قرارًا بتعيينك فى اللجنة المصرية للتضامن ، التى شكلت فى أغسطس عام ١٩٥٧ ، ورأسها (أنور السادات) ..**

ـ لقد كنت أصغر الأعضاء سنًا وسط مفكرين وسياسيين مثل (طه حسين) و(فؤاد جلال) و(إحسان عبد القدوس) و(يوسف السباعى) و(محمد حسنين هيكل) و(عبد العزيز صادق) و(لطفى واكد) . ومع ذلك كنت مستقلاً عن تنظيمات الثورة وانشغلت بهموم الوطن والشعب والأمة ، أكتب كلمتى التى أومن بها.

لم أدافع عن السلطة ، ولكن كنت من المدافعين عن الحقيقة .

• لذلك عشت محترمًا من السلطة برغم بعدك عنها ، وبرغم خلافات فى وجهات النظر أحيانًا وبرغم تغير القيادات . ومع ذلك لم تتعرض إلى الاعتقال .

– لم أكن مدفوعًا يومًا فى إعلان رأيى بارتباطات حزبية أو إيديولوجية ، دائمًا كنت مدفوعًا برؤية ذاتية تحترم العقل وتؤمن بالصدق .

• الغريب أنك كنت فى عهد (عبد الناصر) فى مناصب صحفية كبيرة ، وكان ذلك كفيلاً بأن يقربك من (عبد الناصر) ويجعلك تزعم ذلك بعد وفاته .

– لقد كنت أعرف بالتقارير التى كانت تقدم للرئيس (عبد الناصر) تطلب اعتقالى ، ولكنه كان يرفض دائمًا ويقول «لا .. سيبوه هو مخه كده .. إحنا راقبناه كثيرًا من أول الثورة وتأكدنا أنه لا علاقة له بأحد » .

• على كلٍّ .. معاركك مع مجلس قيادة الثورة خلال رئاستك لتحرير مجلة «روز اليوسف» ومعك (صلاح حافظ) ، كانت مصدرًا لصراع دائم للرقباء فى المجلة ، فكثيرًا ما تسببتما فى نقل كل رقيب فور صدور عدد من المجلة .

– وقد تدهش لو عرفت أن الرئيس (عبد الناصر) اختار مدير مكتبه شخصيًا ليصبح رقيبًا فى «روز اليوسف» ، ومع ذلك استطعنا خداعه وتحرير ما نريد دون أن يلتفت إلى أننا كنا نسخر منه . لقد أضحك ذلك الرئيس (عبد الناصر) كثيرًا .

• أعتقد أنك كدت أن تتعرض للاعتقال عندما كتبت مذكرة وأنت نقيب للصحفيين ، ورفعتها إلى الرئيس (جمال) تحتج فيها النقابة على فرض الرقابة على الصحف .

ـ بالفعل رفعت للرئيس مذكرة تطالب باعتقالى ، ولكنه لم يأخذ بها .

• أعتقد أن الذى أنقذك من الاعتقال ما كتبته عن معركة يونيو عام ١٩٦٧ ، حيث قلت : « يجب أن نفرق بين السبق الصحفى والاجتهاد الصحفى وأخبار لا يجوز فيها الاجتهاد تتعلق بالمصالح العليا للوطن »

ـ على فكرة كل الظروف التى وجدت فيها بعد الثورة ، كانت أكبر فرصة لأحقق الكثير من المكاسب الشخصية . ولكننى اخترت الطريق الصعب . وتعرضت لدخول السجن ثمنًا لمواقفى وآرائى . فمثلاً بعد هزيمة ١٩٦٧ وبالتحديد عندما قامت مظاهرات يناير عام ١٩٦٨ عقب ما سمى بمحاكمات الطيران ...

• اندلعت المظاهرات تعبر عن الانفجار الشعبى بعد النكسة .

ـ لقد اجتمع مجلس نقابة الصحفيين برئاستى ، وقرر إصدار بيان يؤيد المظاهرات ويطالب الحكومة بعدم التدخل لإيقافها بالقوة ، وقلت فى البيان : إن ما تطالب به هذه المظاهرات فى جوهره أصبح مطالب شعبية ، وهى المزيد من الديموقراطية .

• إن كلَّ من يرجع إلى تلك الحقبة سوف يعرف أنك لم تنافق حاكمًا أو مسئولاً .

ـ وأعتقد أننى كصحفى لم أكن أستطيع أن أخفى أو أنكر ما كنت أكتبه لأنه مسجل على صفحات الجرائد .

• **ومات الرئيس (جمال عبد الناصر) ـ رحمه اللّه ـ وجاء الرئيس (محمد أنور السادات) ..**

ـ وهو الرجل الذى كان بينى وبينه علاقة أسرية حميمة قبل أن يأتى إلى الحكم ، لدرجة أننى كنت ضيفًا دائمًا على مائدته ، وتصور الناس والزملاء والصحفيون أننى و(السادات) سوف نكون سمنا على عسل .

• **أعتقد أن العلاقة بدأت تضطرب بينكما ، أنت ككاتب سياسى وهو كحاكم .. لماذا وبأمانة ؟**

ـ لقد كان علىَّ أن ألعب دور كاتب السلطة . وأشطب من قاموسى كلمة لا ، وأرفع شعار نعم . ولم تكن هذه طبيعتى .

• **وبدأ الصدام ، وتحولت جلسات الود والحوار فى الإسماعيلية وميت أبو الكوم وأسوان إلى صدامات مباشرة .**

ـ ونقلنى من الأهرام الى هيئة الاستعلامات .

• **أصدقنا القول ، لماذا منعكِ الرئيس (السادات) من الكتابة يا صديقه القديم ؟**

ـ لقد كان (السادات) دائمًا يتحدث عن عام الحسم والاضطرابات العمالية والطلابية فى الشارع ، مع شعور لدى الناس بأنه لا يوجد شىء يدل على الاستعداد لأى معركة . وانتهى العام بخطاب غير مقنع (للسادات) اشتهر باسم خطاب الضباب . وتقدم أكثر من مائة صحفى ووقعوا على رسالة كتبها (توفيق الحكيم) .

• تلك الرسالة التى قال فيها (الحكيم) « لقد كثر الكلام عن المعركة دون معركة ، حتى صارت المعركة مضغة فى حلوقنا لانستطيع أن نبتلعها أو نلفظها »

ـ وإن كنت لم أوقع هذه الرسالة لأننى كنت مريضًا ، إلا أنه استقر فى ذهن الرئيس (السادات) أننى المحرض على الرسالة وما جاء فيها ، ونشرت الصحف أسماء الموقعين على البيان مرفقة بألفاظ العملاء والخونة ، مع قرارات نقلهم الى الهيئة العامة للاستعلامات

• وكتبت أنت يا أستاذ (بهاء) مقالاً بعنوان محايد « بدلاً من العنف المتبادل » احتجاجًا على هذه القرارات .

ـ فتم شطب المقال رقابيًّا ونقلت أنا أيضًا الى هيئة الاستعلامات

• وقامت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وبمناسبتها أصدرت كتابك المعروف « وتحطمت الأسطورة عند الظهر » ، وطلبك الرئيس (السادات) للقاء فى استراحة (كينج مريوط) . وألغى قرار نقلك للاستعلامات ..

ـ وعينت رئيسًا لتحرير الأهرام بقرار شخصى من (السادات) ، وكانت فترة عملى فى رئاسة الأهرام هى أكثر فترات اتصالى بالرئيس (السادات) ، وإن لم تكن أهمها .

• المهم عندما مرت على حرب أكتوبر ٧٣ سنتان دون الوصول إلى نتيجة ، بدأ القلق والتوتر والضيق يحيط بالعمل الصحفى وأبديت وجهة نظرك التى كانت مخالفة للنظام فأصدر الرئيس .

ـ قرارًا بنقلى من دار الهلال الى (روزاليوسف) ، ورفضت وقدمت استقالتى وكتبت رسالة الى الرئيس (السادات) .

• تلك الرسالة التى قلت فيها « لقد اخترعت الثورة صحفيين وكتابًا ودكاترة فى كل المجالات ، ولكنى لست أحد اختراعات الثورة ، وقد كنت رئيسًا لتحرير أكبر جريدة فى مصر وهى أخبار اليوم ، ومن حقى أن يؤخذ رأيى فى أى أمر يتصل بى ، ولا أتحرك كقطعة شطرنج من مكان لآخر » .

ـ وأصبت فى أوائل عام ١٩٧٥ بجلطة فى الدماغ وعولجت وشفيت .

• وهذا سوف نرجع إليه فى حوارنا عن فترات مرضك .

ـ المهم خلال تلك الظروف تركت الأهرام وذهبت إلى الكويت رئيسًا لمجلة العربى فى أوائل عام ١٩٧٦ .

• أستاذ (بهاء) .. متى بدأ الصدام بينك وبين الرئيس (السادات) ؟

ـ أول صدام كان بسبب (مصطفى أبو زيد) المدعى العام الاشتراكى ووزير العدل . فقد قلت إن بقاء (مصطفى أبو زيد) فى منصبه مع منصب وزير العدل غير دستورى ، وطالبت بإحالة الأمر إلى اللجنة التشريعية بمجلس الشعب ، وأنا واثق من رأيها .

• لقد قال لك الرئيس (السادات) « إيه حكاية (أبو زيد فهمى) ، مش تسيبوا الرجل بقى ، ولا أنت عايز الناس تقول إن الأهرام رجع يشيل وزراء ويحط وزراء . »

ـ المهم انتهى الأمر بترك (أبو زيد فهمى) لمنصب وزير العدل .

• هذا هو الصدام الأول . ترى ما هو الصدام الأهم بينك وبين الرئيس (السادات) ؟

ـ كتبت موضوعًا عن الانفتاح ووصفت الانفتاح بأنه « سداح مداح وكل شيء مباح » وطلبنى الرئيس (السادات) وقال لى : إن الدكتور (عبد العزيز حجازى) رئيس الوزراء ـ فى ذلك الوقت ـ غاضب جدًا من المقال ، وإن ظهور هذا المقال فى الأهرام يعرقل قانون الانفتاح .

• على كلٍّ لم يمكث الدكتور (عبد العزيز حجازى) كثيرًا فى الوزارة ، وتقلدها بعده ممدوح سالم ـ رحمه الله ..

ـ أعتقد أن ما زاد الفجوة بينى وبين الرئيس (السادات) هى الأوضاع التى كشف عنها الانفتاح .

• على كل حال تحت ستار « سداح مداح » كتبت عن التنمية والبناء والاعتماد على النفس وعدم تكرار التبعية الاقتصادية . بل كثيرًا ما كنت تقول للرئيس (السادات) : إن أسلوب المساعدات الأجنبية نحونا ليس هو الأسلوب البرىء المطلوب ، وإنهم لا يريدون لمصر أن تغرق ، ولا يريدون لها أن تقف على قدميها . إنهم يريدونها طافية على سطح الماء فقط . لا هى غارقة ولا هى تتنفس بحرية .

ـ واختصارًا يمكن أن أقول : انتهى الأمر بأننى استقلت من رئاسة تحرير الأهرام لأسباب صحية ، ولأسباب أخرى كثيرة رفضت قبول تولى رئاسة مجلس إدارة تحرير الأهرام . وذهبت الى الكويت رئيسًا لمجلة العربى فى أوائل عام ١٩٧٦ ـ كما سبق أن قلت ـ وظللت أكتب مقالى الأسبوعى « حديث الأحد » فى الأهرام ، كما كنت أكتب خطب الرئيس من وقت لآخر .

• واستمر هذا الوضع حتى كتبت مقالك الذى اعترضت فيه على إلغاء وزارة الثقافة ، وضمها إلى وزارة الإعلام ..

ـ كان ذلك عام ١٩٧٧ حين كتبت مقالاً معنونًا : إلى رئيس الوزراء الجديد الدكتور (مصطفى خليل) ، اعترضت فيه على إلغاء وزارة الثقافة متهمًا عهد (السادات) بانه ضد الثقافة والمثقفين . وقد أحدث المقال استياءً شديدًا . وأصدر الرئيس (السادات) أمرًا بمنعى من الكتابة .

• أعتقد أن مقالك التحليلى الذى انتقدت فيه اتفاقية كامب ديفيد عندما أعلنت نصوصها ـ برغم أنه لم تنشر نصوصها ـ هو السبب فى الأمر بمنعك من الكتابة .

ـ لقد كنت رافضًا ومتشددًا فى سياسة التطبيع ، وعلى كل حال خلال ثمانى سنوات تعرضت للنقل من مكانى مرة كعقاب ، ومرة بالفصل من عملى الصحفى ، ومرتين بالمنع من الكتابة .

• كل ذلك لأنك اختلفت مع توجهات السلطة السياسية فى مصر ، وخاصة فى منتصف السبعينات .

ـ لأننى لم ألجأ ـ كما فعل آخرون ـ إلى ركوب الموجة السائدة حماية لمصدر رزقى ، أو جريًا وراء مصالح أو امتيازات شخصية

أو مهنية كما لم أركن إلى الصمت ــ كما آثر البعض ــ انحناء للريح حتى تمر .

• الذى حدث أنك خرجت من مصر ، الوطن الذى أحببته وعشقته وذبت فيه .

ـ خرجت حاملاً معى كل ما أملك : قلمى وفكرى وإيمانى الصادق بمصريتى وعروبتى إلى الكويت لأرأس مجلة العربى .

• التى تحولت فى رئاستك إلى منبر مفتوح لكافة الاتجاهات الفكرية والثقافية . وهذا ما سوف نتناوله فى حوارنا . بعد أن تدلى برأيك عن الرئيس المصرى الذى يحسب له أن من أوائل إنجازاته ، أنه أعاد الطيور المهاجرة ـ وأنت واحد منها ـ إلى مصر الحبيبة ..

ـ بالطبع تقصد الرئيس (محمد حسنى مبارك) .

• هذا صحيح ، يا ليتنا نعرف عن عصره بقدر ما سمحت ظروف حياتك قبل مرضك الأخير الذى لازمك ست سنوات قبل الوفاة وعلى ضوء ما عاصرت من رؤساء لمصر .

ـ كما سبق أن قلت مرارًا لدى الرئيس (مبارك) فرصة ذهبية للنجاح ، لأنه ليس مدينا لأحد ، بمعنى أنه ليس نتاج شلة ، وليست عليه فواتير يجب أن يسددها لأحد .

• أرجو الإيضاح وعدم التلاعب بالألفاظ ..

ـ أقصد أن الرئيس (جمال عبد الناصر) كان مدينًا لزملائه فى مجلس قيادة الثورة . والرئيس (محمد أنور السادات) كان

مديناً لمن ساعدوه في ١٥ مايو . أما الرئيس (محمد حسنى مبارك) فلم يكن مديناً لأحد عندما تولى الحكم . وهذا فى حد ذاته أعطاه فرصة العمل بأقل قدر من العقبات ، خاصة وأنه لا يوجد حزب معادٍ له بالذات .

- **بالطبع لا يمكننا الاستهانة بالقضايا الكبرى التى واجهها .**

ـ لقد كانت هذه القضايا بمثابة امتحان لا مفر منه . لقد كانت قضايا متشعبة وكثيرة ، وباختصار تركة مثقلة ، والحديث عنها شرحه يطول ..

- **على كلٍّ ، أستطيع أن أقول إن مناخ الحرية والديمقراطية فى عهد الرئيس (حسنى مبارك) هما السبب الحقيقى فى وجودك فى مصر وعدم تركك إياها تحت أى ظروف برغم مقالاتك ومواقفك .**

ـ تقصد ما كتبته عام ١٩٨٦ عن ظاهرة الشيخ الفاسى فى مصر وهو شيخ الصوفية العالمية ، ومهاجمتى له والذين يتعاملون معه ، وكذلك مهاجمتى وضع الصحف فى مصر .

- **حيث قلت إن الدولة قد عقدت اتفاقًا ضمنيًا مع المؤسسات القومية مؤداه أن تؤيدها إلى ما لا نهاية ، مقابل أن يفعل رؤساؤها أى شىء يرونه فى مؤسساتهم .**

ـ أرجو ألا تنسى أننى اضطررت أن أدفع من جيبى الخاص ثمن إعلان رأيى وموقفى ، حين خضت حملتى ضد هجرة اليهود السوفييت ، وكتبت بياناً وقع عليه ٨٨ من كتاب وفنانى

ومثقفى مصر ضد هذه الجريمة ، ونشر البيان فى جريدة أخبار اليوم كإعلان مدفوع الأجر .

- **تقصد ذلك البيان الذى أسميته «جريمة العصر» والذى كتبت فيه بخط يدك أن هذا يجرى فى إطار الدجل السياسى على مستوى حكام العالم المتجبرين ، وتحت عنوان حقوق الإنسان .**

ـ لقد خضت معركة عنيفة لنشر البيان .

- **وغير خاف بالطبع أنك سقطت صريع المرض عام ١٩٩٠ وأنت ممسك بهذا البيان . وبدأ الغمز واللمز بتواطؤ أطراف عديدة عربية وأجنبية ، دول وأفراد ومؤسسات ، كانت السبب فى النزيف الذى أصابك .**

ـ وجعلنى ميتًا عمليًا لمدة ست سنوات وحتى الوفاة

- **على كل حال أستطيع أن أقول إنك منذ يناير عام ١٩٨٢ عدت إلى قرائك من خلال يومياتك بجريدة الأهرام من ١٩٨٢/١/١١ وحتى ١٩٩٠/٢/٢٢**

ـ ولا أنكر أننى لم أجد صعوبة فى ظل مساحة الحرية المتاحة فى ذلك الوقت ، أن أناقش كل القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية بلا رقابة ، حتى سقطت مصابًا بنزيف المخ ، فتوقفت عن الكتابة وعن الكلام ست سنوات ..

- **أستاذ (بهاء) . بصراحة أعتقد أن مشكلتك كانت طول حياتك الصحفية أنك لم تنضم إلى شلة فى الحكم أو الصحافة ، وكنت دائمًا بعيدًا عن الصراعات التى كنت تراها صراعات سلطة وليست صراعات آراء وسياسات .**

ـ أعتقد أننا نكتفى بهذا القدر من شهادتى واضعًا نصب عينى أن ما أغفلته ليس عـامدًا بـل ناسـيًا ، ومختصـرًا بقـدر مـا سمح الوقت والصفحات . فالشهادة للتاريخ تتطلـب التدقيـق والتسلسل الزمنى وترتيب الأحداث ، وهو مـا لـم يمكننـى تقديمـه فـى هذه العجالة ـ وأرجو أن أكون قد قدمت المختصر المفيد .

• وحتـى يتسنى لنـا تكملـة حوارنـا كـى نعرف ملامـح مجلـة العربى الكويتية بعد رئاستك تحريرها ..

★ ★ ★

(٩) بهاء .. ومجلة العربى فى الكويت

• ماذا عن مجلة العربى الكويتية ؟

ـ بادئ ذى بدء . لقد كانت مجلة العربى ناجحة ـ قبل أن أتسلم رئاسة تحريرها ـ لأنها كانت تتميز بخصائص مهمة هى الجدية والجدة والصدق . وقد حاولت الالتزام بالقيم والمبادئ حتى نضمن استمرار المجلة وانتشارها .

• على كلٍّ ، لا ينكر أنك قد استحدثت أساليب فى التناول أو الأبواب أو الكتاب ، بحيث لم تتعد على الملامح الأساسية للمجلة .

ـ أنا رأيى فى مجلة العربى أوضحته فى صدق وأنا أودع قرائى فى يوليو عام ١٩٨٢ ـ فى طريقى الى مصر الحبيبة العزيزة ـ فقد قلت تأكيدًا لنجاح مجلة العربى : « من تجربتى الطويلة فى الإشراف على مؤسسات صحفية ، أعرف أن أكبر غلطة هى أن يأتى رئيس تحرير جديد ويقلب الجريدة أو المجلة رأسًا على عقب ، وكأنه يقدم للقارئ مجلة جديدة يضعها فى اختبار جديد » .

• أعتقد أنك أردت أن تلقن هؤلاء الذين يدعون التغيير بلا علم أو خبرة درسًا مفيدًا ، مؤداه أن يسعوا إلى قارئٍ جديد ، وذلك بما يصنعونه من تجديد مع استمرار القديم ، بدلاً من التغيير القائم على غير أساس ، فيستبدلون قارئًا بقارئ ، فى الوقت

الذى يحتاجون فيه إلى قارئ جديد ، فتكون النتيجة ليست لمصلحة العمل أو العاملين ، بقدر ما تكون لمصلحة المشرف على العمل وحده .

ـ هذا مجرد رأى من المؤكد أن له وجاهته ..

• **كم يسعدنا أن نعرف باختصار ملامح مجلة العربى بعد رئاستك تحريرها ؟**

ـ أعتقد أنه كان لها مكانة خاصة ابتداء من عام ١٩٧٦ وحتى عام ١٩٨٢ . فقد أصبح القارئ ، ينتظر صدورها أول كل شهر ، برغم أنها مجلة ليست فنية ولا رياضية ، وكانت تنشر مقالات ودراسات جادة جدًّا وتبحث عن قضايا كبيرة تخاطب العقل وتستثيره ، وتحرك فيه خلايا التفكير . لقد زادت مساحة الكتابة السياسية فيها .

• **أعتقد ـ كما سبق أن قلت ـ أن اختلافك مع الرئيس (السادات) كان السبب الأساسى الذى دفعك لمغادرة البلاد والسفر إلى الكويت .**

ـ ولبثت هناك زمنًا غير قصير رأست فيه تحرير العربى ..

• **ليس هذا فحسب ، فلا ينكر أحد أنك خلال فترة إقامتك بالكويت كنت نعم السفير لبلادنا فى هذه البلاد العربية الشقيقة . فقد استطعت أن تكون محورًا لندوات أدبية وفكرية ، وكان بيتك المفتوح ساحة لهذه المؤتمرات الشعبية غير الرسمية .**

ـ ولا ينكر أحد مساعدة زوجتى (ديزى) بثقافتها وكرمها ، بأن جعلت البيت مفتوحًا للأصدقاء والصحاب يلتقون فيه كل مساء .

• حقًا يا أستاذ بهاء ، لقد لعبت فى الكويت أدوارًا تفوق حدود منصبك كرئيس تحرير مجلة العربى ، لأنك عربيًا صادقٌ فى عروبتك ، ومصريًا متعصبٌ لمصريتك . لذلك حظيت بكل حفاوة وتقدير من الجالية المصرية فى الكويت . وأقولها صادقًا وأكررها ، لقد كنت وأنت خارج حدود مصر سفيرًا فوق العادة لها ، وكنت كبيرًا بحجم كبر مصر وعظمتها وشموخها .

ـ ولما كانت مصر أولى بأبنائها فقد وجه الرئيس (محمد حسنى مبارك) الدعوة لكل الطيور المهاجرة أن تعود إلى البلاد ..

• لقد كنت أحد العائدين ، وتسلمت عملك بالأهرام .. وأتحفتنا بروائعك فى عمودك « يوميات » ..

ـ على فكرة أنا كان لى علاقات وطيدة بالكثير من الزعماء العرب ، وصادقت من الشخصيات العربية الكثير والكثير ، وكان ذلك منذ عام ١٩٥٦ وليس كما يتوهم البعض بعد ذهابى إلى الكويت عام ١٩٧٦ .

• لقد أصبحت لك علاقة كبيرة وعميقة مع الكثير من الشخصيات المهمة التى كانت من صناع القرار فى الكويت ، وتزايدت اهتماماتك السياسية ، ولمعت ككاتب سياسى لك أهميتك . وليس بخافٍ صداقتك لـ (ميشيل عفلق) و(صلاح الدين البيطار) و(المهدى بن بركة) و(محمد أحمد محجوب) و(ساطع الحصرى) و(أحمد بن بيلا) و(غسان التوينى) و(سامى الدروبى) و(منيف الرزاز) و(عبد المحسن القطان) و(كمال الشاعر) و(أكرم ميدانى) و ...

ـ وغيرهم وغيرهم من كافة الدول العربية . لقد كنت كلما اكتسبت صديقًا عربيًا جديدًا مخلصًا لعروبته أزداد تفاؤلاً وأملاً في جمع الشمل العربى ، والاطمئنان للمستقبل العربى .

• أعتقد أن لك من المواقف والآراء الكثير مما يستحق أن يمتد إليه حوارنا .

* * *

(١٠) بهــاء .. آراء ومواقــف

• لقد كنت جم التواضع لا تعنيك المظـاهر ولا تهتـم بالشـكليات وتصنـع الخير .

ـ لا بد أن يوضع الخير فى مكانه . أما أن يكون عمل الخـير مشجعًا على الانحراف والانحلال فليس فيه خير .

• ليتنا نعرف أحد المواقف التى وضعت فيها الخير فى مكانه .

ـ أذكر أن رجلاً مـن سكان عشش الترجمـان ـ التـى كـانت قائمة بجوار الأهرام وقـد أزيلت ـ كان يأخذ منـى معونـة شبه يومية منذ كنت فى أخبار اليوم ـ وبعد أن حضرت إلى الأهـرام ظللت أعطيـه ، إلـى أن فوجئت بزوجتـه تقـابلنى أمـام الأهـرام ومعها خمسة من الأبناء وقالت لى : إن زوجها يـأخذ المسـاعدة منى ويشترى بها أفيون ، ويتركها مع أولادها جياعًا . وتـأكدت من صدقها عندما وجدته ينسـحب دون دفـاع عن نفسـه . ومـن يومهـا لـم أعطـه مليمًـا واحـدًا حتـى لا أشـجعه علـى تنـاول المخدرات ، وحولت معونتى إلى أسرته . ألسـت معـى أنـه مـن الضرورى أن يوضع الخير فى مكانه الصحيح ؟

• على كلٍّ يا أستاذ (بهاء) ، ليـس بخـافٍ مـا كنـت تقـوم بـه مـن تحويل مبلغ من رصيدك فى لندن إلى إحدى الفتيات الفلسـطينيات فـى الضفـة الغربيـة المحتلـة .. فهـل أسـتأذنك فـى أن تصدقنـا الحقيقة ؟

ـ الحقيقـة أن هـذه الفتـاة الفلسـطينية لجـأت إلى عـن طريق المراسلة ، تحت وطأة ظروفها المالية القاسية كى أبحث لها عن مصدر يوفر لها مساعدة مالية حتى تكمل تحصيلها العلمى . فما كان منى إلا أن قمت بتلك المهمة . ولـك أن تعـرف أننـى كنـت أعمل ذلك دون أن أكون قد التقيت بها أو تعرفتها وقد لا تصـدق أننى لم ألتق بها إلا عندما أنهـت دراستها الثانويـة ، وحضـرت إلى القاهرة فتاة يافعة للالتحاق بالجامعة .

• هذه الواقعة قد عرفناها من صديق فلسطينى كان يمت للفتاة بصلة قرابة اسمه ...

ـ أرجو عدم ذكر أسماء .

• لقد حدثنا الكاتب الصحفى (محمود السعدنى) ـ الولد الشقى ـ عن أكبر مأزق صادفه بعد هروبه من مصر ليقيم فى لندن .

ـ يبدو أنه قد تحدث عن ابنته العزيزة (هالة) ، التى كانت فى المستشفى تحت العـلاج ، بعـد أن ضـرب بهـا شـلل الأطفـال فـى السـاق وفـى الحـوض ، وفـرض عليهـا أن تزحـف حتـى بلغـت الخامسة عشرة ، لقد كان أمله أن تبـرأ نهائيًا ، خائفًا أن تمضـى العمر كله أسيرة الشلل اللعين .

• المهم أن (محمود السعدنى) سافر إلى لندن على وعد من رئيس دولة عربى بأن يعالج ابنته على نفقته ومع الأسف نكث بعهده . وطبعًا أنت فى غنى عن معرفة ظـروف (محمـود السـعدنى) وأحوالـه الماليـة السيئة ، التـى كـان السـبب فيهـا الرئيـس (السادات) الذى دفعه إلى الهجرة.

ـ لقد قاسى (السعدنى) فى لندن الأمرّين .. انتقل من لوكاندة إلى لوكاندة حتى استقر فى فندق الأمباسادور الذى إيجاره أربعة جنيهات إسترلينية فى الليلة لغرفة عارية من الأثاث إلا من سرير وكرسى وبلا تليفون .

• **مما كان يضطره إلى النزول إلى صالة الفندق مغتاظًا إذا طلبه أحد فى مكالمة عاجلة .**

ـ لقد كنت فى تلك الفترة رئيسًا لتحرير الأهرام ، وكنت فى مهمة تستغرق أربعة أيام فى لندن ، عندما عرفت من صديق مشترك لى وله أن (محمود) فيها . فطلبته فى التليفون فى الفندق ، وسألته عن ابنته هالة وطلبت منه أن يزورنى فى فندق تشرشل حيث أقيم . وبالفعل حضر وجلسنا نصف ساعة نجترّ الذكريات ، حاول بعدها أن ينصرف وأصررت أنا على دعوته للعشاء فى الفندق ، وكان ثالثنا (أحمد السويدى) وزير خارجية الإمارات ، وبعد العشاء استأذن (محمود السعدنى) وانصرف .

• **وعاد إلى حى لانكستر جيت سيرًا على الأقدام ، وفى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى اتصلت أنت به فى فندق أمباسادور وقلت له :**

ـ بعد انصرافه بعد العشاء ، حكيت للسويدى عن مشكلته ومشكلة ابنته (هالة) ووعد بحلها وسوف يتصل به بعد أيام .

• **لقد رد عليك (السعدنى) يائسًا : « إن كان رئيس الدولة الثورى المناضل نكث بعهده فهل يصدق السويدى ؟ »**

ـ لقد قلت له : اطمئن ، السويدى رجل جدع وشهم وسيأتيك الحل بعد أيام فلا تقلق . وسافرت عائدًا إلى القاهرة .

• **الذى حدث كما رواه الأستاذ الصحفى (محمود السعدنى) بنفسه : لقد جاء الفرج فى اليوم التالى . وصدر قرار (الشيخ زايد) بعلاج (هالة) حتى تشفى . وانتقل هو من فندق أمباسادور إلى فندق (هايد بلاك) الذى إيجار غرفته عشرون جنيهًا فى الليلة . وبعد عامين من العلاج عند الدكتور (بروكس) قامت ابنته (هالة) تسعى بأمر ربها .**

أليس هذا موقفًا مشرفًا لك ، وفضلاً لاينسى ضمن أفضالك الكثيرة له فى الغربة ، سواء فى العراق أو الكويت التى صدر فيها قرار بطرده ؟

ـ الحقيقة أن (محمود السعدنى) قاسى كثيرًا ، ويا ليت « الولد الشقى » يكتب مذكراته التى من المؤكد أنه سيكتبها فى بحر خضم من الذكريات حاملاً معه مجدًا فى الأمانة والصدق .

• **لقد أخذ منك (بهجت عثمان) رسام الكاريكاتير درسًا مازال يذكره كلما جلس مع الأصدقاء .**

ـ ماذا قال (بهجت) صاحب الريشة الساحرة ، التى تعتبر بمثابة مصباح ساخر ، نوره يكشف لنا عيوبنا فنضحك من اكتشاف أنفسنا ، ونحاول أن نصلح ما فينا من نواقص ؟

• **لقد قال إنه فى أحد الأيام بدأ حملة من الرسوم الكاريكاتيرية على أحد المسئولين الفاسدين ، واستمرت الحملة حتى أبعد المسئول عن منصبه وأحيل للتحقيق معه .**

ـ لقد أخذت (بهجت) نشوة الانتصار فقرر مواصلة الهجوم ..

• **ولما كنت رئيسًا لتحرير المجلة ناديته وأعدت إليه الرسم .**

ـ وقلت له مؤنبًا : عندما هاجمت المسئول ولم تخف من سلطته ، اكتسبت ريشتك قوتها وصلابتها فانتصرت ، ولكن بعد أن جرد من سلطاته فأنت كمن يبارز شخصًا أعزل من السلاح . وكان درسًا كبيرًا تعلمه منك يا أستاذه وصديقه ومعلمه .

• **ماذا قلت للكاتبة الصحفية المتميزة « سناء البيسى » عندما صارحتك همسًا بحلم كان يراودها ، وهو حصولها على الدكتوراه ويلقبونها بالست الدكتورة ؟**

ـ مع الأسف (سناء) طحنتها الصحافة بين راحتيها فتعذر عليها تحقيق الحلم . وقلت لها : يا (سناء) كل موضوع جديد تطرقينه على صفحات الجرائد بمثابة رسالة دكتوراه ، لا تحصرك طول العمر داخل حدود بحث واحد أكاديمى .

• **متى صارحتها برأيك هذا الذى أراحها نفسيًا ـ على حد قولها ـ ؟**

ـ أعتقد أنه كان بعد أن ناقشت رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الصحفى (عمرو عبد السميع) حول رسوم الكاريكاتير فى الصحافة المصرية .

• **وما دمت قد ذكرت رسالة (عمرو عبد السميع) ، فأذكر أنك عاتبت صاحب الرسالة بشدة لأنه لم يوف والده الفنان (عبد السميع) حقه .**

ـ لقد قلت له : «كان عليك تجنب الحرج من قرابته لك وضرورة وضعه فى مكانته الرائدة » .

• وتصور بعض الذين حضروا مناقشة الرسالة أن هذا العتاب سوف يكون له أثره فى الدرجة .

ـ ولكن الحقيقة أن الرسالة كانت رائعة لذلك منحت درجة الامتياز .

• أستاذ (بهاء) .. بحكم أنك من هواة التاريخ والباحثين فى خباياه والدارسين لشخصياته . فقد كنت مغرمًا بـ (عبد اللّه النديم) ، فيا حبذا لو كشفت لنا عن شخصية (عبدالله النديم) .

ـ (عبد اللّه النديم) كان زعيم الثورة العرابية .. الأُدِباتى الصحفى الزعيم .. المشخصاتى .. الخردواتى الذى فتح دكانا فى المنصورة يبيع فيه الخردوات وينشد الشعر ويلقي النكات ، فأفلس الدكان . لقد كان للنديم مجلة فريدة فى الصحافة العربية كلها .

• لقد كان اسم المجلة « التنكيت والتبكيت » .

ـ اسمها هذا هو أول توفيق منها .. فمن زاوية الفكاهة والسخرية يشير (النديم) إلى العيوب والدواء ، وبأسلوب التنكيت القريب من قلوب المصريين يصل (النديم) إلى تبكيتهم وتأنيبهم وإيقاظهم ..

• على كلٍّ لقد طاردت السلطة (النديم) ليهيم على وجهه تسع سنوات .

ـ لقد انتحل فيها تسعة أسماء ، في كل فترة يغير شكله وهيئته كالمهرج فِي الروايات .. مرة يبخر لحيته بالكبريت حتى تبيض فيبدو شيخا فانيًا ، ومرة يصبغها بالحناء فيصبح لونها أحمر ، ثم يعود بها إلى لونها الأسود ، وهى تقصر وتطول حسب الظروف .

• وكانت هناك مكافأة ألف جِنيه مرصودة من السلطات لمن يأتى بـ (النديم) حيًا أوميتا .

ـ لقد مات (النديم) فى يافا فى سن الرابعة والخمسين .

• هل تذكر شيئًا من أقواله ؟

ـ الكثير والكثير ولكن أكتفى بقوله «لكل شدة مدة ، متى انتهت خفت الأوحال وحسنت الأحوال ، فترانى فكرى كليمى وقلمى نديمى . لقد وضعت عشرين مؤلفًا فى فترة غيابى ، فانظروا آثار رحمة الله اللطيف الخبير كيف جعل أيام المحنة وسيلة للمنحة ».

• أستاذ (بهاء) .. ما زلنا فى حاجة للوقوف على بعض آرائك وأقوالك وتحذيراتك .

ـ حين مات الرئيس (جمال عبد الناصر) ، وجهت تحذيرًا شديدًا خوفًا من أن تذهب منجزاته معه إلى قبره ، وقلت : إن المنجزات لم يقم بها (جمال عبد الناصر) بمفرده ، ولكن صنعها معه الناس .

• كما كان لك رأى حين انتصرت مصر فى أكتوبر عام ١٩٧٣ .

ـ لقد قلت : إن الأخذ بالعلم يجب أن ينتشر فى المجتمع ، بنفس الدرجة من الجدية ، التى تم بها الأخذ بالعلم فى القوات المسلحة . كما طالبت بالجدية وقلت : إن الديموقراطية ليست ضد الحرية ، بل هى معها وإطار لها .

• من الملاحظ أن الذين كانوا يحضرون ندواتك أكثرهم من الشباب .

ـ لقد كنت فى كل ندوة أحس بالمسئولية عن إبلاغ الأجيال الجديدة بأن من حقها اختيار المستقبل على ضوء المعلومات الدقيقة..

- **أستاذ (بهاء) .. لقد حظيت بمكانة لم يحظ بها أى من معاصريك من الكتاب الصحفيين . لماذا ؟**

ـ لأنه قد أمكننى أن أحتفظ لنفسى دائمًا بالمسافة الواجبة بين الكاتب والسلطان ، لذلك حافظت فى كل الأوقات على استقلال قلمى ، وحظيت بالاحترام والهيبة من جانب الحكام والسلاطين ، وبالحب والإعجاب من جانب المحكومين والجمهور فى كل العالم العربى .

- **أعتقد أنك لم تتردد يومًا فى خوض أعتى المعارك الفكرية دفاعًا عن قضية أو مبدأ ، أو لخدمة غاية اجتماعية ، لذلك ارتبط اسمك بشعارات كان لها تأثيرها فى مختلف جوانب حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية ، منها شعار : اعرف عدوك .. كومبيوتر فى كل مدرسة .. دولة المؤسسات .**

ـ لم أشتبك يومًا فى خناقة سياسية أوحزبية ، وظللت بعيدًا عن الشللية حتى نهاية حياتى .

- **لقد كان ضمن صفاتك التواضع الشديد ، والزهد وعزة النفس ، ونهمك الشديد للمعرفة ، والإلمام بأحدث المؤلفات ، وقدرتك الشديدة على الاحتواء ، وذوقك الراقى وحبك الشديد للفن . حلو النكتة سريع البديهة فى القفشات ، كما كنت كاتبًا موسوعيًّا شاملا .**

ـ كتبت فى تخطيط المدن ، والفن التشكيلى ، والخيول العربية .

- **كتبت بنفس البراعة والعمق اللذين كانا يميزان كتاباتك فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع . لقد كنت فيلسوفًا مفكرًا ، ومصلحًا اجتماعيًّا وناقدًا أدبيًّا وفنيًّا .**

ـ وقبل أن تسألني . ما الذى دفعني للاستقالة بعد ١٤ شهرًا من انتخابي نقيبًا للصحفيين بالتزكية ؟ دعني أهمس في أذنك :

إنني لم أتمكن من الاستمرار في موقعي النقابي طويلاً لعدم قدرتي على المواءمة بين الحرية الصحفية التي كنت من أشد أنصارها ، وبين الالتزام المفروض على من جانب الدولة .

• **أستاذ (بهاء) .. ماذا كتبت في آخر يوميات لك بجريدة الأهرام ، التي كانت بتاريخ ٢٢ فبراير عام ١٩٩٠ أي قبل أن تصاب بنزيف المخ .**

ـ لقد كتبتها بخط يدي ، شكرتٍ فيها مسز (تاتشر) رئيسة وزراء بريطانيا ، لأنها أخذت موقفًا مغايرًا من هجرة اليهود السوفيت ، وأعربت عن معارضتها لتوطين اليهود السوفيت في الأراضي المحتلة .. ولكن لماذا سألت عما كتبته في يوميات هذا اليوم ٢٢ فبراير عام ١٩٩٠ بالذات ؟

• **حتى يتسنى لنا التطرق في حوارنا إلى البيان الذي وضعت فيه خبرتك ورصيدك تحذر وتنبه لجريمة العصر . ترى ما هي جريمة العصر التي كنت تعنيها ؟**

ـ جريمة العصر تمثلت في إلغاء كل مظاهر المقاطعة مع إسرائيل ، واتخذت خطوات مهمة لإلغاء قرار الأمم المتحدة ، الذى يقرر أن الصهيونية حركة عنصرية . وبدأت إحدى جرائم العصر الكبرى بكل المعايير وهي نقل حوالي نصف مليون يهودي روسي إلى إسرائيل ، ليشغلوا الضفة الغربية ، وشعرت بأنها طعنة جديدة لقضية فلسطين والعروبة ، وتعزيز لحكاية إسرائيل الكبرى .

• **على كلٍّ لقد أثبتت الأيام بالفعل أن هذه كانت جريمة العصر ، وخاصة بعد أن بدأ المهاجرون الروس الوصول إلى إسرائيل وبدءوا إقامة المستوطنات فى الضفة والقطاع ، وأصبح لهم سبعة أعضاء فى الكنيست الإسرائيلى ..**

ـ مع الأسف أحداث هذه الفترة كانت التمهيد للانقسام الحاد الذى شهده العالم العربى بعد غزو العراق للكويت ، وما أعقب الغزو من عاصفة الصحراء .

• **لقد أجهدت نفسك كثيرًا فى إعداد بيان حول جريمة العصر ، ولم تكتف بمجرد الكتابة فى هذا الشأن كما كنت تفعل دائمًا فى القضايا المصيرية .**

ـ لقد كتبت البيان ووددت أن أنشره على صفحة كاملة فى الأهرام مذيلاً بإمضاءات نخبة من المثقفين ، ولكن .. وآه من كلمة ولكن ..

• **ولكن أغضبك تسويف البعض وتعالى البعض وميوعة البعض ورفض البعض توقيع البيان .**

ـ من المؤسف أنه بين هؤلاء « البعض » كاتب سياسى كبير ، طلب أن يقرأ البيان قبل الموافقة عليه ، وفنانة كبيرة يطلق عليها سيدة الشاشة ـ وقد أكون أنا ممن أسهموا فى نجاحها ـ هذه طلبت أن أبعث لها بصورة من البيان لقراءته ، فربما لا يتماشى مع رأيها.

• **وبالرغم من أن آخرين حين طلبت توقيعهم يا أستاذ (بهاء) وقعوا بإمضاءاتهم ، ومنهم من أبدى استعداده لأن يبصم**

بالعشرة على البيان بمجرد أن عرف أنك كاتب صيغته . إلا أن علامات الحزن بدأت تظهر على محياك وبوادر الإحباط بدأت تحط على مشيتك .

ـ بل قلها بصراحة ، أثقلتنى الهموم بعد أن اكتشفت أن بعض أصدقاء عمرى كانوا بمثابة بالونات فارغة .

• من المؤسف يا أستاذ (بهاء) أن هذا البيان الذى لم يناصرك بعض الأصدقاء فى توقيعه ، كان السبب فى الدمدمة الخافتة على فمك ، التى كانت بداية الغيبوبة التى نقلت على أثرها إلى المستشفى مصابًا بنزيف فى المخ .

ـ هذه الملابسات كانت بالفعل أهم العوامل النفسية التى أصابتنى فى الصميم .

• ولازمتك الغيبوبة ستة أعوام ملازمًا الفراش صامتًا لم تمسك فيها قلمًا ولم تحس بمن حولك . وباختصار سرقك المرض مُعلمًا ومفكرًا ومثقفًا وصحفيًّا وكاتبًا وسياسيًّا .

ـ على كلٍّ لك أن تعرف أن البيان قد نشر فى جريدة أخبار اليوم كإعلان مدفوع الأجر بصفحة كاملة ، وتحملت أنا شخصيًّا نفقاته . ومع الأسف الشديد لم أكتب كلمة واحدة فى أثناء مرضى الطويل .

• وقد وضح ذلك بسهولة لكل القراء ، فقد ظل عمودك « يوميات » فى الأهرام شاغرًا احترامًا لمكانتك وقلمك . فقد

كـان هنـاك أمـل فـى أن تعـود مـن الغيبوبـة لتواصـل الكتابـة ، ولكنك فضلت الرحيل ، والتقطك الموت فى أثناء وجودك فى منزلك بأبى تلات بالساحل الشمالى .

- أما زال فى حوارك بقية .

● رحلتك مع المرض والوفاة ..

★ ★ ★

(١١) بهاء .. ورحلة المرض والوفاة

• ماذا عن رحلتك مع المرض ؟

ـ لقد أصبت بمرض السكر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وأصبت بضغط الدم المرتفع ونزيف فى شبكية العين بعد مذبحة صبرا وشتيلا فى لبنان ، وبعد ذلك توالت هزائم الجسد .

• ماذا تعنى بهزائم الجسد ؟

ـ أعنى أننى أصبت عام ١٩٨٨ بالنزيف الأول من الناحية اليسرى من المخ ، ودخلت فى غيبوبة ونقلت إلى مستشفى القاهرة التخصصى بمصر الجديدة ، وتولى علاجى الدكتور (سيد الجندى) طبيب المخ والأعصاب ، والدكتور (شريف عبد الفتاح) باطنة ، والدكتور (زكريا الباز) سكر ، وكان النزيف بسبب وصول الضغط إلى ٢٥٠ ، والسكر إلى ٤٠٠ ، وتكوم النزيف فى تجويف المخ ، مما أدى إلى شلل وضعف النطق .

• على كل حال سبب إصابتك بجلطة المخ الأولى هو التوتر والقلق والضيق .

ـ وأحب أن أؤكد لك أن هذه الجلطة لم يكن سببها العمل الصحفى ، لأننى لم أكن أتعب من العمل الصحفى ، بل كنت أشعر بنشوة وراحة نفسية ، وإنما كان سببها الإرهاق الذى كان يحيط بالعمل وليس العمل نفسه .

• على كلٍ ، هذه الجلطة بدأت بعد أسبوع فى التحسن ، وفوجئ الأطباءُ بك تعود إلى النطق ، ونقلتَ للعلاج بالمستشفى الجوى الأمريكى .

ـ المهم كانت نصيحة الأطباء أن أنقطع عن العمل نهائيًا وأعيش فى مكان هادئ بعيد .

• ولكنك مع الأسف عدت إلى معارك الفكر والرأى وسقطت مرة أخرى .

ـ بعد أقل من سنتين حدث النزيف الأخطر فى الناحية الأخرى من المخ .

• ودخلت فى غيبوبة وتأثرت الخلايا العميقة المسئولة عن الانتباه والذاكرة والحركة .

ـ وفقدت القدرة على التفكير والتفاهم .

• وظللت ستة أعوام لا تنطق ولا تتكلم ولا تدرى ما يدور حولك وأنت راقد .

ـ هل لى أن أعرف كيف عشت خلال هذه الأعوام الستة التى أعقبتها الوفاة ؟

• وفق ما روته زوجتك مدام (ديزى) ، أنك كنت تستيقظ فى التاسعة صباحًا ، ويدخل إليك الممرض الذى يلازمك ليقدم لك الإفطار وهو عبارة عن فول مصفى وكوب لبن به دواء مقوٍّ ثم كمية أدوية مختلفة وإبرة إنسولين . بعد ذلك تدخل الحمام وتخرج لتجلس فى البلكونة حتى الساعة ١٢ ظهرًا ، وفى هذه

الفترة يدار لك الكاسيت ، وبالتحديد الموسيقى وأغنيات (عبد الوهاب) و(عبد الحليم) القديمة . فى الساعة الثانية يجهز لك الغداء المكون من صدور الدجاج أحياناً والخضار ، وهو أكل مهروس ، ثم كوب لبن أو عصير برتقال . وفى الساعة الرابعة تتناول طبق مهلبية صغيرًا ، أما العشاء ففى الساعة الثامنة مساءً . فترة مشاهدتك للتليفزيون تبدأ من الرابعة وحتى الثامنة مساءً ، وغير مصرح بمشاهدة الكوارث أو الاستماع للأخبار المقبضة ، فهذه من الممنوعات التى يجب أن تبتعد عنها ، لذلك تختار لك الأسرة المسلسلات والأفلام الهادئة . وبعد أن تتناول العشاء فى الثامنة يدار لك الكاسيت مرة أخرى بأغنيات (أم كلثوم) ثم تنام .

ـ أعتقد خلال كل هذا كان لا يفارقنى الممرض الذى يلازمنى .

• بل ولا تغفل عنك لحظة زوجتك الوفية الصابرة (ديزى) ، التى كانت تقوم بتنفيذ أوامر الأطباء المعالجين ـ فى مصر والخارج ـ بكل دقة طوال الأعوام الستة بأمل الشفاء .

ـ الذى لم يتحقق وكانت الوفاة .. ترى أين كانت الوفاة ؟

• كما تعودت الأسرة مع بداية فصول الصيف كانت تصطحبك إلى الشاليه الخاص بكم فى أبو تلات بالساحل الشمالى .. وفى يونيو عام ١٩٩٦ انتقلت بك الأسرة لقضاء الصيف فى مسكنك الصيفى هربًا من حر القاهرة ، ولكن شاء القدر أن تصاب بالتهاب رئوى حاد ، أدى إلى هبوط فى الدورة الدموية ومعاناة شديدة من ارتفاع درجة الحرارة ، وظللت على هذه

الحال ثلاثة أيام فى غيبوبة . تجلس إلى جوارك زوجتك ، حتى وافتك المنية صباح يوم ٢٤ أغسطس عام ١٩٩٦ الساعة الحادية عشرة صباحًا عن عمر يناهز ٦٩ عامًا .

ـ ماذا حدث بعد وفاتى ؟

• لقد قام نجلك الأستاذ (زياد) باستدعاء سيارة إسعاف لنقل جثمانك إلى مستشفى السلام بالقاهرة ، وحدد موعدًا لتشييع جنازتك بعد صلاة ظهر ٢٦ أغسطس ١٩٩٦ من مسجد عمر مكرم بميدان التحرير .

ـ من شارك فى جنازتى ؟

• تقدم الجنازة السيد (حامد عبد الرازق) أمين رئاسة الجمهورية مندوبًا عن الرئيس (محمد حسنى مبارك) ، والدكتور (مصطفى كمال حلمى) رئيس مجلس الشورى ورئيس المجلس الأعلى للصحافة ، والسيد (عمرو موسى) وزير الخارجية ، والدكتور(حسين كامل بهاء الدين) وزير التعليم ، والفنان (فاروق حسنى) وزير الثقافة ، والدكتور (إسماعيل سلام) وزير الصحة ، والدكتور (زكريا عزمى) رئيس ديوان رئيس الجمهورية .

ـ من حضر جنازتى من زملاء الصحافة والقلم ؟

• رؤساء مجالس إدارات المؤسسات الصحفية ، ورؤساء تحرير الصحف القومية والحزبية ، ونقباء الصحفيين السابقين ، ومجلس نقابة الصحفيين .



● بهاء .. ولقاء مع الرئيس مبارك ●



● بهاء .. رأى ثاقب فى الجوائز الصحفية ●



● بهاء فى نظر السفراء العرب (رجولة وعروبة) ●



• بهاء .. هل كان عنيفاً فى مناقشة الدكتوراه ؟ •



● بهاء .. فى حديث صحفى ممتع مع الفنانة فاتن حمامة فى بيتها ببرج الزمالك ●



• أحمد بهاء الدين مع الأستاذة لوتس عبد الكريم صاحبة مجلة الشموع •



• بهاء مع ابنه زياد •



● بهاء الجد مع الحفيد ●



● السيدة ديزى حرم الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين تحتضن حفيدها ●

• بهاء فى لقاء صحفى •



• بهاء .. والوداع الأخير•

ـ لم يتمكن الأستاذ (إبراهيم نافع) رئيس مجلس إدارة الأهرام ونقيب الصحفيين من المشاركة فى تشييع جنازتى .

• نظرًا لوجوده فى دمشق يحضر مؤتمر الصحفيين السوريين بوصفه رئيسًا لاتحاد الصحفيين العرب ، ومع ذلك فقد أناب عنه الأساتذة (على غنيم) المدير العام بمؤسسة الأهرام ، و(جلال عيسى) وكيل نقابة الصحفيين ، و(صلاح الدين حافظ) أمين عام اتحاد الصحفيين العرب ، ومع ذلك فإن الأستاذ (إبراهيم نافع) عندما سمع نبأ وفاتك الذى عرفه من خلال حديث مع التليفزيون السورى بكى ، بل وخصص محاضرة كاملة عن حياتك ومواقفك القومية ومدرستك الصحفية .

ـ أعتقد أن الأستاذ (هيكل) قد شارك فى جنازتى .

• الكاتب الكبير (محمد حسنين هيكل) صديق الفكر والعمر كان أول المشاركين ، وكذلك رؤساء النقابات المهنية والعمالية وعدد من سفراء وممثلى السفارات العربية وبعض المسئولين عن الجامعة العربية ، ورئيس حزب التجمع (خالد محيى الدين) .

ـ مَن مِن زملاء القلم ؟

• حشد بالغ أذكر منهم : (جلال عارف) (مصطفى نبيل) (محمد عبد القدوس) (إبراهيم حجازى) (محمد باشا) (زكريا نيل) (حسين الشاعر) (عباس مبروك) (بهجت عثمان) (سلامة أحمد سلامة) (محفوظ الأنصارى) (فهمى هويدى) (كامل زهيرى) (أحمد عبد المعطى حجازى) (محمد عودة) (جمال بدوى) (ومكرم محمد أحمد) ..

- مَن مِن الفنانين حضر ؟

• جمع غفير ، منهم (عادل إمام) (يوسف شاهين) (عاطف سالم) (محمد فاضل) (نبيل الحلفاوى) ، والموسيقار (كمال الطويل) ، و (فردوس عبد الحميد) . وباختصار يمكننا أن نقول : إن حشدًا من القيادات السياسية والصحفية والكتاب فى مصر والوطن العربى ، سار فى موكب الجنازة ، كما سار الآلاف من الجماهير تتقدمهم باقات الزهور من الأفراد والمؤسسات . لقد ضم الموكب الحزين والمسيرة التى خرجت من مسجد عمر مكرم عددًا كبيرًا من أبرز وجوه الفكر والفن والسياسة فى مصر والعالم العربى .. هؤلاء قد أحاطوا بولدك (زياد) كما أحاط به عدد كبير من عشاق كتاباتك .

- الى أين انتقل جثمانى بعد أن تقبل ابنى (زياد) وأفراد عائلتى العزاء ؟

• إلى مدافن الأسرة بمدينة نصر .

- وأقيمت ليلة العزاء بمسجد عمر مكرم .

• بل أصرت عائلة سلام - التى ينتمى اليها أبوك - أن تقيم سرادقًا للعزاء مساء يوم الأربعاء ٢٨ أغسطس فى قرية الدوير بأسيوط ، وفى السرادق الذى أقيم على مدى ثلاثة أيام خلال أسبوع العزاء أمام المنزل الريفى الكبير بالدوير (دار عائلة السلامة) مركز صدفا ، على بعد ٧٨ كيلو مترًا من مدينة أسيوط تجمع أفراد أسرتك لتقبل عزاء أهل القرية والنجوع المحيطة ..

ـ على فكرة لقد غضبت الأسرة عندما عرفوا أنني دفنت في القاهرة ، ولم أدفن في مقابر العائلة بالدوير ..

• **أعتقد أنك تريد أن تعرف انطباعات المعزين للأسرة في فقدك وذكرياتهم معك .**

ـ بالطبع كعادة أهل الصعيد تحدثوا عن الروابط الأسرية ..

• **منهم من قال إن باب منزلك بالقاهرة والإسكندرية كان مفتوحًا أمامهم دائمًا ، وإنهم افتقدوا فيك ملاذًا لهم ومفخرة لشبابهم . وإنك كنت لاتخاف ولا تنافق ، وكنت صادقًا ومستنيرًا ، ومنهم من قال إنك هادئ قليل الكلام تفتح قلبك لسماع مشاكل وهموم الفلاح ، وتسأل عن شباب القرية المسافرين للخارج ، (ولما يرجعوا بيعملوا إيه بفلوسهم) ومنهم من قال إنك ما تحبش الواسطة أبدًا ، وإنك كنت مشغولاً ومواعيدك مزدحمة ، وإنك كنت واقعيًا وتعايش الأحداث وتحللها وتفسرها وتصل إلى نتائج تتحقق فعلا ، ومنهم من قال إنك كنت تصمت تمامًا وتسمع فقط لمن يتكلم من كبار العائلة ، وإنهم كانوا ينزلون عندك ويزورونك ، وكنت تقابلهم أحيانًا في دار الهلال ، وعرفوا قبل سفرك للكويت أنه كان بينك وبين الرئيس (السادات) شوية مشاكل) وأعتقد أن نكتفي بهذا القدر مما قاله قريبك العجوز (نصر سلام) وعمك (علاء الدين) مدرس اللغة العربية والحاج (عبد الحليم على) المزارع .**

ـ من نعاني ؟

• **اتحاد الصحفيين العرب ، واتحاد كتاب مصر ، واتحاد الإذاعة والتليفزيون ، وحزب التجمع ، ونقابة الصحفيين .**

ـ هل نعتنى وسائل الإعلام الكويتية ؟

• **نعتك كمثقف عربى .**

ـ أعتقد أن (سعود ناصر الصباح) وزير الإعلام الكويتى قد نعانى .

• **بالفعل فقد نعاك قائلاً : « تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة فقيد الصحافة العربية المغفور له الأستاذ (أحمد بهاء الدين) .. لقد كان الفقيد أحد رواد الصحافة فى العالم العربى ممن تركوا بصماتهم الواضحة عليها طوال تاريخه الطويل الحافل بالنجاحات والإنجازات . ونحن هنا فى الكويت نستذكر ونسجل بمزيد من الفخر والاعتزاز إنجاز الفقيد ، وإسهامه ، فى المجال الثقافى بالكويت من خلال رئاسته لمجلة العربى فى الفترة من ١٩٧٦ حتى ١٩٨٢ ، شهدت خلالها قفزة نوعية دعمت من جهودها وانتشارها فى سائر أنحاء العالم العربى ، ونحن إذ نشارككم أحزانكم ، لندعوا الله العلى القدير ، أن يتغمد روح الفقيد بواسع رحمته ، ويسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمنا جميعًا الصبر والسلوان » ؟**

ـ بماذا نعتنى نقابة الصحفيين ؟

• **لقد نعتك إلى الشعب المصرى وإلى الأمة العربية باعتبارك فارسًا من فرسان الكلمة الحرة ، الذين أفنوا حياتهم فى الدفاع عن قضايا الحق والعدل ، والانتصار لقيم الاستنارة والحوار والتقدم ، وقد جاء فى نعيها لك « إن مسيرة هذه الروح الوهاجة ، التى فاضت بكل ما أوتيت من أنوار العقل وصفاء**

الرؤية وسمو الخلق ، فى كل ما تصدت له من مهام ومسئوليات ومعارك فى عالم الصحافة والكتابة والفكر ، تضع هذا الكاتب المعلم فى مصاف الرموز الباقية لمهنة الصحافة العربية ورسالتها على امتداد الأجيال ، وتتجاوز مع رحيله بعد فترة معاناة صامتة طويلة مع المرض كل الكلمات التى تعبر عن الأسى والحزن لفراقه ، إن نقابة الصحفيين التى شرفت بتوليه مقاليدها ، تستشعر معانى الخسارة والإكبار لهذا القائد النقابى البارز ، الذى جسد قيم الزمالة والكرامة المهنية والاستقلال النقابى فى فترة مهمة وحاسمة من تاريخه ، وهى إذ تنعاه إلى أمته التى نذر لها كل عطائه ، وإلى قرائه ورفاقه وتلاميذه الذين وهبهم كل محبته وصدقه ، نحتسبه عند الله فى منازل الشهداء والصديقين الأبرار .

ـ يكفينى فخرًا ما نعتنى به نقابة المهن التى أعطيتها خلاصة عمرى .

● **بل سيسعدك أكثر ما قاله عنك الأصدقاء والمريدون والزملاء .**

ـ هل حقًا منهم من تذكرنى برغم بعدى عنهم ستة أعوام مكبلاً فى سرير المرض قبل الوفاة ؟

● **برغم احتجاب كتاباتك عنهم هذه الفترة الطويلة ، برغم حاجتهم إلى آرائك ومواقفك فى قضايا مصيرية طفحت على السطح .**

ـ كم أنا تواق لمعرفة الأحداث العربية التى واكبت سنى مرضى ؟

• دولـة عربيـة احتلت دولـة عربيـة ، تفسـخ وتشـرذُم وانهيـار عربى ، تراجع المفهوم القومى العربى ، تطبيـع زاحف فـى العلاقات العربية مع إسرائيل ، استمرار توسـع المسـتوطنات ، ازدياد الطرق الالتفافية التفافًا فى الضفة الغربية حول أعناق الشعب الفلسطينى الصابر الصامد ، تكريس القدس عاصمـة أبدية لإسرائيل .

ـ على كل أنا قد ناديت قبل أن أخـر صريـع المـرض بإقامـة دولة فلسطينية عربية بجوار ، وليس على أنقاض إسرائيل ، كمـا ناديت بضرورة تعمير سـيناء لإقامة حاجز حضارى بين مصـر وإسرائيل ، والحيلولة دون أن تكون الصحـراء الجرداء إغـراء متجددًا لإشعال الحروب .

• أستاذ (بهاء) أستأذنك قبل أن يمتد حوارنا عن ماذا قالوا ، وماذا كتبوا عنك ، أن أقدم لك صديقًا على الورق يحمـل لـك عملة نادرة اسمها الوفاء .

★ ★ ★

(١٢) بهاء .. وصديق على الورق

ـ أعتقد أن حوارنا قد شارف على الانتهاء ، فهل لى أن أسألك لماذا أجريت معى هذا الحوار المطول ؟

• **لأننى أومن بأن الوفاء عملة نادرة ، وأحمد اللّه على أننى ما زلت أقتنيها .**

ـ زدنى إيضاحًا .

• **عندما كنت أعمل فى بنك (الإسكندرية) بـ (دمياط) ، كانت كتابة القصة القصيرة إحدى هواياتى . فكتبت قصة بعنوان « الغفران » وأرسلتها إلى مجلة العربى فى الكويت ، ولم أتلق ردًا إلى أن تسلمت أنت رئاسة تحريرها عام ١٩٧٦ ، فأرسلت لك مستفسرًا عن مصير قصتى بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٧٦ ، وجاءنى ردكم المؤرخ ٥ إبريل ١٩٧٦ موقعًا عليه منكم شخصيًا هذا نصه :**

السيد المحترم (مجدى سلامة)

وكيل بنك الإسكندرية (دمياط ـ مصر)

بعد التحية ، إشارة إلى خطابكم المؤرخ ٢٤ / ٣ / ١٩٧٦ الذى تستفسرون فيه عن مصير قصتكم « الغفران » نفيدكم بأن هذه القصة قد أرسلت إلى الجمع ، ونأمل أن تأخذ طريقها للنشر .

مع قبول تحياتنا ..

رئيس تحرير مجلة العربى

توقيع

(أحمد بهاء الدين)

ـ وهل نشرت القصة أم لا ؟

• لقد نشرت القصة بالعدد ٢١٥ الصادر فى أكتوبر ١٩٧٦ بالصفحات من ١٣٦ إلى ١٤٠ ، وتسلمت مكافأة عنها من وزارة الإعلام الكويتية فى ٢٥ أكتوبر١٩٧٦.

ـ على فكرة لقد حاولت منذ استلامى رئاسة تحرير العربى أن أرد شخصيًا على المراسلات ، وقد يكون ردى عليك كى تطمئن على مصير قصتك .

• المهم أننى سعدت كثيرًا بردكم ونشر القصة واستلامى المكافأة ، وقررت أن أتشجع وأراسلكم ، خاصة وأننى كنت من المداومين على تتبع أخبارك وكتاباتك منذ عملكم فى (روز اليوسف) وحتى استقالتكم من الأهرام وسفركم إلى الكويت .

ـ معنى ذلك أنك كنت من قرائى ..

• بل من المعجبين بكتاباتك وكتبك ، لذلك قررت أن ينعكس إعجابى فى كتابة رسالة شخصية لك .

ـ ماذا كتبت فى رسالتك ؟

• كتبت : « لقد سعدت برياستكم مجلة العربى ، وهى مجلة لها ثقلها ، بما تحويه من موضوعات قد أضفت إليها مؤخرًا الموضوعات السياسية التى ظهرت بصماتك عليها جلية وبوضوح أحيانًا ، وبين طيات سطورها أحيانًا أخرى منذ رئاستكم تحريرها مقالاتكم التى تفضل فيها دائمًا ضرب الحديد وهو ساخن وبلا مجاملة أو أحقاد ، وبأسلوب سهل فريد ، جعلك فى قمة الكتاب المجيدين ، الذين تعودوا مناقشة

قضايا الساعة المصيرية بموضوعية وصدق . إن معالجتك (آثام الحاضر) الذى يطل علينا من سراديب شارع الخديعة العربية فى مقالاتك (الذكية) ، يؤكد أنك أديب سياسى صقلته التجربة ، وصهرته المبادئ فى بوتقة الفكر الحر إننى أومن دائمًا بأن الفكر الحر يحفر أخاديد الأمل فى النفوس مهما بعدت المسافة ، أو حاولوا طمس معالمه . إن كسر الأكواب لا يعنى ألا نشرب الماء .

أستاذى الفاضل ..

تحية لك فى موقعك الجديد ، وتهنئة من تلميذ لأستاذ يحاول أن يترسم خطاه ، لعله مع الأيام يقدر أن ينهل ولو جرعة صغيرة من نبع معرفته الفياضة فى السياسة والفن والأدب . والسلام (توقيع) .

ـ قد تدهش لو علمت أننى كنت أتلقى عشرات الرسائل كل يوم من مختلف الدول العربية ، منها ما يحمل الأمل ، ومنها ما يخيب الرجاء ، ومنها ما يرضى غرور البشر ويسعد ، ومنها ما يحمل لسع السياط ، ومن المؤكد أننى تسلمت رسالتك وسعدت بها .

- **على كل حال لقد ظللت سعيدًا بنشر قصتى « الغفران » وسعيدًا أكثر بخطابك الموقع منك بخصوصها ، وما زلت أحتفظ بالمجلة والخطاب الذى أرسلته لى بدون سابق معرفة ، الأمر الذى يؤكد احترامك لآدمية الإنسان .**

ـ أعتقد أن نشرنا قصتك « الغفران » فى العربى كان بداية خير لك .

• كان فتح شهية وبداية لنشر مجموعة من قصصى وكتبى .. كتبى التى منها كتاب « عبد الحليم حافظ .. المرض والعبقرية » الذى صدر فى سلسلة أدبيات من المؤسسة العربية الحديثة فى ٣٠٤ صفحة عام ١٩٩٤ . لقد حوى هذا الكتاب حياة المطرب (عبد الحليم حافظ) من المولد وحتى الوفاة وما بعد الوفاة .

ـ لماذا اخترت كتاب (عبد الحليم حافظ) بالذات من مجموعة كتبك ليتضمنه حوارنا ؟

• لأننى ضمنت الكتاب فصلاً كاملاً عن عمالقة تأثر بهم (عبد الحليم) ، وكنت أنت أحد هؤلاء العمالقة ، وقد آثرت أن أخصك بخمس صفحات كاملة فى حوارى معه (من ص ١١٦ حتى ص ١٢٠) باعتبارك المفكر السياسى ، وأستاذ الثقافة والتنوير والتطور ، وكيف بدأت الصداقة بينكما .

ـ ولماذا اخترتنى أنا بالذات فى حوارك مع (عبد الحليم) ؟

• لأنك يا عزيزى كنت مصابًا بنزيف المخ الأخير الذى أدخلك كهف الصمت لمدة ستة أعوام ، لا تنطق ولا تتكلم ولا تدرى ما يدور حول سريرك الذى كنت ترقد عليه حتى الوفاة ..

لقد آثرت أن يتضمن حوارى مع (عبد الحليم) ص ١٢٠ تلك الفقرة على لسان (عبد الحليم) :

« إن الوعكة التى ألمت بـ (بهاء) ، يبدو أنها قد أثرت عليه فحرم القراء حتى من عموده اليومى الذى تعودوا أن يفتحوا عيونهم عليه صباح كل يوم فى جريدة الأهرام ـ أطلب

من اللّه له الشفاء كى يعود الحصان إلى صهيله » .

هل عرفت الآن لماذا اخترتك ؟ إنه وفاء قارئ أتيحت له الفرصة لأن يعبر عن شعوره تجاه كاتب أسهم فى تكوينه الثقافى بكتاباته وإنسانيته وتذوقه الفنى .

ـ سؤال ما زال يحيرنى : لماذا أقدمت على هذا الحوار المطول معى ، مع أنه كان من الممكن أن نكتفى بما قدمت من حوار فى كتاب (عبد الحليم) عنى ؟

- **بكل صدق .. اعترافًا بفضلك وإقرارًا بجميلك ولأقدمك لشباب جيلنا وللأجيال بلا رتوش ، ليروك فى مرآة الحقيقة مصريًا عربيًا صادقًا .**

ـ أما زال فى حوارك بقية .

- **بالطبع .. ألا يستحق تكريمك أن يتضمنه حوارنا ؟ !**

* * *

(١٣) بهـاء .. ووسائل تخليده

ـ ماذا قدم من مقترحات من أجل تكريمى ؟

• **لقد تقدم محبوك وتلاميذك مطالبين « الهيئة المصرية للكتاب » بتجميع مؤلفاتك باعتبارها ثروة فكرية ، وإصدارها فى أعمال كاملـة لـك ؛ لتكـون مرجعًـا سياسـيًّا وفكريًّـا للمتخصصيـن والمثقفيـن وعامـة النـاس ، ولتكـون كنزًا مـن كنـوز المكتبـة العربية بما توفره من متعة فكرية ـ علـى أن يخصص مجلد للمقـالات التـى كتبتهـا فـى مؤسسـات (روز اليوسـف) و(الأهرام) و(الأخبار) و(الهلال) و(العربى) ..**

ـ على فكرة لقـد منحتنى جامعـة أسـيوط درجـة الدكتـوراه الفخرية .

• **كما قرر مجلس مدينة أسيوط إطلاق اسمك على أحد الشوارع الرئيسية لمدينة أسيوط .**

ـ كذلك قصر ثقافة أسيوط مزمع أن يقدم جائزة باسمى .

• **لعل ما يسعدك هو أن أصدقاءك ومحبيك قد أنشئوا جمعية باسم أصدقاء (أحمد بهاء الدين) ، من أجل العمل على نشر أفكارك وكتاباتك والمشاركة فى مختلف النشاطات الثقافية التى حظيت باهتمامك . وقد اتخذت الجمعية من الأهرام مقرًّا لهـا ، وضمت أكثر من ٣٠٠ عضو من بينهم الأساتذة (محمد حسنين هيكل)**

و (إبراهيم نافع) و (إسماعيل صبرى عبد الله)
و (محسن قطان) و (كمال الشاعر) .

ـ ما هى الأهداف الحقيقية للجمعية ؟

• تهدف إلى مهمتين : الأولى اجتماعية لبناء المدارس والمشروعات الخيرية ، وأولها مدرسة ابتدائية باسمك فى أسيوط ، وقد حققت هذا الهدف فى مدخل قرية السلالمة بقرية الدوير ، والمهمة الأخرى ثقافية لإعادة نشر أعمالك ، وتخصيص جوائز باسمك للأعمال الصحفية والفكرية .

ـ لقد نشر عنى كتاب خاص .

• وكرمك الملتقى الأدبى والثقافى فى أكتوبر ١٩٩٥ الذى نظمته هيئة قصور الثقافة والمحافظة وجامعة أسيوط ، واعتبرت الجامعة تكريمها لك هو تكريم لها .

ـ أعتقد أن هناك اقتراحًا بوضع تمثال نصفى لى فى مدخل مبنى الجامعة العربية ..

• باعتبارك أفنيت عمرك فى النداء بجمع الصفوف العربية ..

ـ كما قيل إن مصلحة سك العملة بصدد سك عملة ذهبية وفضية باسمى ، وكذلك هيئة البريد تدرس إصدار طابع بريد باسمى .

• على كل .. إعداد تماثيل نصفية لوضعها فى كل المؤسسات الصحفية التى شرفت برئاستكم لها وارد ، وكذلك هناك اقتراح تجرى دراسته ، وهو تخصيص جائزة كبرى باسمك

يحصل عليها فى كل عام فى احتفال ضخم من يقدم جديدًا من شباب الصحفيين ، وكذلك وزارة الثقافة ، هناك أمل فى أن تقدم جائزة باسمك للأدباء الشبان فى مصر والدول العربية ، لتشجيعهم على البحوث فى التضامن العربى والثقافة العربية والوحدة العربية . فمن يدرى ما لم يتحقق حتى الآن من وحدة عربية شاملة قد يتم على يدى الأجيال .

ـ قد تفكر مجلة العربى فى إعداد جائزة سنوية باسمى بحكم ما قدمته لها كرئيس تحرير على مدى سبع سنوات .

• أستاذ (بهاء) أستأذنك فى تقديم اقتراح مهم يدور فى فلك تكريمك .

ـ ما هو ؟

• بلا حساسية .. شقتك ، كم تمنيت أن يكون لك وصية مكتوبة بخصوصها بكل محتوياتها ، وإن لم يكن الآن فبعد عمر طويل لزوجتك مدام (ديزى أرمانيوس) ، حتى تكون مزارًا لكل مريديك ومحبى أدبك ، على أن يضم هذا المتحف كل مقتنياتك من أثاث ولوحات وتحف .. وملابسك ومنظارك وساعاتك وأقلامك الحبر الشيك التى كنت تعشق الكتابة بها ، وأوسمتك ونياشينك ، والهدايا التى حصلت عليها ، وشهادات التقدير ومؤلفاتك ومقالاتك فى كل صحف العالم ـ كم أتمنى فى حالة عدم وجود وصية مكتوبة بهذا الخصوص ، وحتى لا تكون الشقة يومًا مطمعًا لهواة الاقتناء لمجرد الاقتناء ، ممن يمتلكون الريالات والدنانير والعملات الأجنبية ، أن تقوم وزارة الثقافة بسرعة التفاوض مع الورثة لشراء هذه الشقة

ومحتوياتها ، وضرورة الاتفاق ليتبع هذا الأثر المهم - إن جاز هذا التعبير - الدولة أسوة ببيوت العظماء الخالدين فى كل دول العالم ، ليصبح مزارًا لأبناء هذا الجيل والأجيال المتعاقبة ، وأستأذنك بأن أهمس فى أذن ورثتك كل على حدة . أرجو فى حالة شراء وزارة الثقافة لشقة الأستاذ (بهاء) ، الذى هو جزء من كرامة مصر ، أن يحتفظ الورثة بجزء من قيمة الشقة وديعة فى أحد البنوك الوطنية بربح متميز ، يستخدم سنويًّا كجوائز للبحوث المميزة (صحفيًّا وأدبيًّا) . إن (أحمد بهاء الدين) أقل ما يستحقه هو الوفاء .. الوفاء من الأسرة والدولة وجمعية (بهاء) والأصدقاء .

- أعتقد أن ورثتى سوف يوافقون وأولهم زوجتى .. أليس كذلك يا (ديزى) ؟

• والآن ونحن بصدد أن ننهى الحوار أرجو ألا ننسى ما كتبه الأحباء وما قالوه عنك بعد وفاتك .

* * *

(١٤) بهاء .. ماذا قالوا .. وماذا كتبوا عنه ؟

- ترى ماذا قالوا .. وماذا كتبوا عنى بعد وفاتى ؟

- **كتب عنك أستاذ الأجيال الكاتب الصحفى الكبير (محمد حسنين هيكل) ؟**

« إن الرجل يحمل مسئوليته بجد ، ويستشعر همومها بصدق ، ويؤديها باحترام لنفسه وللكلمة وللقارئ جميعًا فى نفس الوقت . وفى أدائه لهذه المسئولية فإن (أحمد بهاء الدين) أرهق نفسه بأكثر مما تستطيع طاقته . ولعل حياءه تواطأ أيضًا مع حدود احتماله على تعريضه لما تعرض له ، فقد كان هذا الحياء دائمًا هو الذى يغلب على أمره أمام أى طارق لبيته أو مكتبه ، يطلب منه رأيًا مكتوبًا أو مسموعًا فى قضية من القضايا الملحة ، على شواغل الرأى العام فى مصر أو العالم العربى .

أما الكاتب الصحفى الكبير (إبراهيم نافع) فقد كتب :

« ركب الكاتب الكبير (أحمد بهاء الدين) زورقه سابحًا فى نهر بلا عودة . وها نحن أولاء نودعك تاركا دنيانا بمرها وحلوها ، بتعبها ونضالها إلى عالم الرحمة والمغفرة الحسنة والقبول الحسن الذى نتمنى أن يكون من نصيبك فى الآخرة ، ويعوضك عن سنوات الصمت التى عشتها فوق سرير المرض الطويل . ولكم يعز على تلاميذك أن يقولوا وداعًا لأستاذهم ، ولكننا نقولها اليوم بالفخر كله والإعزاز كله ، ولكن بالحزن كله ، فى قلوبنا ، ونرفع أيدينا فوق رءوسنا (تعظيم سلام) بما تركته لنا نتعلم ونتعلم ونتعلم .

أما الأستاذ الكاتب (أنيس منصور) فقد قال :

« الذين عرفوا الأستاذ (بهاء الدين) عن قرب أحبوه ، والذين عرفوه عن بعد احترموه . وكان من الممكن أن يكون أديبًا فقط لو لم تستغرقه السياسة ، ففى كتبه صفحات أدبية جميلة لم يقصدها ، فهو أحب معشوقته السياسة فأعطاها ما لا تستحق ، ولم يعط الأدب بعض ما يستحق ، وكان فى استطاعته أيضًا أن ينشغل بالفلسفة لو أراد ، فلديه كل أدوات التحليق فوق ، وسباحة المسافات الطويلة وارتياد الأعماق الموحشة .

أما الشاعر الإذاعى الكبير (فاروق شوشة) فقد كتب عنك :

« الكاتب الكبير (أحمد بهاء الدين) رئيس تحرير مجلة العربى ، توهجت المجلة فى عهده بمزيد من الانفتاح على الفكر القومى السياسى والاجتماعى والتحليل الموضوعى للنزعات والتيارات السياسية ، ومواجهة تحديات المرحلة بوعى ، واستنارة وجرأة تناول . ولم يكن (أحمد بهاء الدين) بعيدًا عن التوجه العروبى والفكر القومى ، فهو أحد أعلامه وممثليه الكبار . وقد ضمن له عدم تحزبه طيلة حياته وإيمانه بالفكر السياسى وليس التنظيمى ، مسافة آمنة حفظت لتوهجه استمراريته وسطوعه . فحين تصادم فكره مع توجهات (السادات) بعد حرب أكتوبر كان تركه لموقعه فى الأهرام وذهابه للعمل فى الكويت رئيسًا لتحرير العربى ، حلاً رائعًا حفظ عليه صورته فى عيون قرائه ، وأتاح له منبرًا واسع الانتشار ، هو مجلة العربى التى وصل توزيعها فى عهده إلى أكثر من ربع مليون نسخة ، وهو رقم أسطورى إذا ما قارناه بأرقام المجلات الثقافية التى نعرفها مصرية أو عربية .

أما الكاتب (صلاح الدين حافظ) فقد كتب :

« لقد تعلمنا منه دقة التفكير وديموقراطية الحوار وشرف الكلمة وصلابة الحق . عرفناه لا يتغير أو تتبدل مواقفه أو يقايض على رأى يؤمن به ، برغم كل المتاعب السياسية والكيدية التى عصفت به مرارًا . لقد كان تصالحه مع نفسه أقوى أسلحته فى المقاومة والاستمرار ضد حبائل السياسة ومصائد الوقيعة وإسفين النميمة ، وكتابة التقارير المزيفة ونصب الكمائن الخادعة . وكم كانت هذه وتلك كثيرة ومدبرة فى حياته العامة .

أما الكاتب الصحفى المميز (عادل حمودة) ، فقد كتب عنك :

« لم يمح الغبار عن أحذية الحكام . أحب فى وضح النهار . وحد الوطن فى قلبه وفى بيته .. الدين لله والحب للجميع ـ احترف البراءة مثل الأنبياء . ظلت كلماته وأنفاسه خيمة من النجوم ، حزمة من الضوء .. دافع عن الفقراء البسطاء الحفاة بغير نعال ، الذين يخنقهم السعال ، ويخلطون الخبز بالخيال ، شتمه بضراوة وشراسة الأقزام والسماسرة وتجار الفحش والكلمة العاهرة ، خذله الأنصار والأصحاب . انفجرت من شدة الغيظ شرايين العقل ، فنزل ستار الصمت وانهمرت دموع التماسيح ، ومقالات التماسيح ، ومشى الذين شلوه ونقطوه وقتلوه فى جنازته » .

أما الكاتب الصحفى الكبير (رجب البنا) فقد كتب :

« برحيل (أحمد بهاء الدين) فقدنا أحد العقول الكبيرة التى أسهمت فى إقامة جسور من الفهم والمعرفة بين المصريين والعالم ، وفقدنا مناضلاً لم يلق سلاحه أبدًا إلا حين سقط شامخًا ومنتصرًا فى كل معاركه . ولو تابعنا حياة وأفكار (بهاء) فسوف نجدها سلسلة

من المعارك ، حتى وهو فى أعلى المناصب قريبًا من السلطة . ولأنه كان لا يساير ولا يناور ولا ينافق .. لقد كان (بهاء) عقلاً كبيرًا وأستاذًا له قيمة فى ذاته ، لم يكتسب قيمته من منصب أو بالاقتراب من السلطة . وفيه شجاعة محارب فدائى ، ضحى بنفسه ولم يرض التضحية بمبادئه وأفكاره ، وسقط شهيدًا وأصبحت له عند الله منزلة الشهداء .

أما الأستاذ الكاتب (أحمد بهجت) فقد كتب عنك :

« كان الأستاذ (أحمد بهاء الدين) كاتبًا عميق الثقافة واضح الفكرة عذب الأسلوب متماسك المنطق ، يعرف كيف يحلل الأحداث ويتأمل متابعتها ومساراتها . كما يجيد الغوص وراء معانى الأحداث وتفسيرها . وقد اجتمعت له هذه المواهب كلها فصار واحدًا من ألمع الكتاب المرموقين فى مجال الفكر السياسى ، وقد لا يقبل المرء كل اجتهاداته فى بعض شئون المجتمع والحياة ، ولكنه لا يملك إلا الإعجاب بشجاعته فى عرضها . لقد كان الرجل أستاذًا من أساتذتنا ، وقد علمنا وسهر على عقولنا ، ومن حق الأستاذ على تلاميذه أن يسألوا الله له الرحمة والعفو والرضا » .

أما الكاتبة المبدعة (إقبال بركة) فقد كتبت :

« أستاذى الكبير .. لقد انسحبت من الحياة العملية مفضلاً ذلك على تقديم أية تنازلات ، آثرت الصمت وما أبلغه عندما أصبح للكلمة ثمن ، وللنفاق مبرر ، وللتخلف والغباء والجحود حراس وأبواق وأعلام ، عندما اختلط الحابل بالنابل ، وأصبحت الأعمدة الصحفية والأبواب الثابتة غرفًا مفروشة يقطنها القادرون على تغطية

الحسابات وتبادل المنافع . سكنت يا (بهاء الدين) ، ولكن كلماتك ظلت كالرعد تقصف الآذان ، وتثير الرعب في قلوب الجبناء . كلماتك يا (بهاء الدين) لن تختفى أبدًا ، ستظل مثالاً للأدب الرفيع والرأى الحر والموقف النزيه .. الشجاعة بلا تهور والتشجيع بلا نفاق .. ميزان دقيق حسّاس كميزان الذهب ، وزنت به كلماتك فكانت تشجينا وتهدئ من روعنا ، وكانت تشرح لنا فتزيد وعينا يا رجل المواقف » .

أما الأديب الكاتب الصحفى صاحب الكلمات الرصينة (أحمد زكى عبد الحليم) ، فقد كتب :

« بعد سنوات من الصمت ، بعد سنوات من المعاناة ، وبعد سنوات من التغير العربى والتمزق العربى، شهدها ولكن لم يعشها . ها هو ذا يغادرنا إلى الأبد في موكب لا تنال من حرارته أنه عاش ست سنوات من الصمت ، وفي صورة لا يغير منها أنه قد اختفى في بيته برغم إرادته ، وفي لوعة لا يخفف من حرارتها أنه قال كلمته ، وأنه قد تعذب من أجل هذه الكلمة ، وأنه قد مضى وهى فى ضميره لا يتخلى عنها أبدًا . أستاذ كبير كبير .. وقلم عظيم عظيم .. وراحل لا يودعه دمع ، فأصحاب الأفكار العظيمة لا يعرفون الوداع ولو بعد ألف عام » .

أما الكاتب الأديب (سامح كريم) فقد كتب :

« أحمد بهاء الدين يتكلم ، نعم يتكلم ، وراحلنا الكبير من أصحاب الأفكار التى لا تموت ، ومن خلال كتاباته وأفكاره وأقواله يتكلم ».

أما الكاتب الشاعر المرهف (فاروق جويدة) فقد كتب :

« أحمد بهاء الدين قلم له خصوصية شديدة التميز ، فبرغم أسلوبه الرشيق ، وعباراته السلسة ، وكلمته الجذابة ، إلا أنه من أكثر كتابنا الكبار احترامًا لعقل القارئ . كان عميقًا في فكره موضوعيًا في أحكامه . وقبل هذا كله التزم (بهاء) طوال حياته بلغة عفة وأسلوب مهذب ، ولم يدخل يومًا أسواق المزايدات أو المناورات أو الشتائم . لقد أضاء (بهاء) عقولنا بقلمه النزيه ، وحرك وجداننا بفكره الحي ، وأضاء حياتنا كاتبًا كبيرًا . هو بكل المقاييس علامة مضيئة في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة » .

أما الكاتب (مصطفى بهجت بدوى) فقد كتب :

« لقد لمست في العشرة الطويلة معه كل ما يشرف الإنسان ويقربه بمفعم المحبة ، وأشهد أن مرحلة عملنا معًا هي من أغلى وأعز وأزهى مراحل العمر .. أين لي الآن بمجلسه وبلطف حديثه وظرفه ووسامته وصدقه وإخلاصه ، وهذا الذكاء الهائل الذي يغلف ما يبديه من آراء وتحليل وتعليق وخفة ظل ؟ »

أما الكاتبة الصحفية (سناء البيسي) فقد كتبت ملحمة رثاء صادق أجتزئ منها :

« فراق الأستاذ يشتت ويرهق ويضيع معه الخيط وتبقى المواجهة .. إن التواضع مات .. البهاء أفل .. الدمث غادر .. المتزن هاجر .. المؤدب راح .. الفنان ذهب .. المحترم توارى .. السلس انقضى .. السهل البسيط لقي وجه ربه .. الذواقة سافر إلى أقصى مبعدة .. الرفيق الرقيق ترك الساحة .. صاحب القضية ارتاح .. المريض الصامت الصابر شدوا على وجهه

الغطاء . رحلت يا أستاذ .. فلتسقط الدمعة المتحجرة من الجفون » .

أما الكاتب الصحفى (محمود السعدنى) فقد كتب عنك :

« كان (أحمد بهاء الدين) يتكلم بحساب ، ويضحك بوقار ، وينثر تعليقاته بذكاء ، وكانت تصرفاته عمومًا توحى بأنه رجل أنضجته التجارب وعلمته الأيام .. لقد خسرنا بمرضه عقلاً فريدًا ليس له نظير ، وخسرنا قلمًا متفردًا كنا فى أشد الحاجة إليه خصوصًا فى هذه الفترة التى حفلت بالأحداث الجسام ، وخسرنا بموته رجلاً والرجال قليل » .

أما الكاتب المفكر الدكتور (مصطفى محمود) فقد قال :

« (أحمد بهاء الدين) كاتب سياسى فريد ، كان يمثل مدرسة وأسلوبًا انفرد به فى عصره . فهو الكاتب الذى كان يستطيع أن يقدم للقارئ أكبر قدر من المعانى فى أقل قدر من الكلام .. لقد كنت أختلف مع (بهاء) فى حماسه الشديد للناصرية والماركسية ، ولكن كنت أحترم إخلاصه الذى لازمه حتى آخر لحظة أمسك فيها بالقلم ، حتى بعد انكسار (عبد الناصر) وبعد انهيار الاشتراكية فى بيتها ، وكان قيادة صحفية لها ثقلها فى زمن عصفت فيه العواصف السياسية بالجميع ، واقتلعت العروش والعقول وغيرت خرائط التاريخ .. »

أما المفكر الفلسطينى وعضو المجلس الوطنى (باسل أمين عقل) فقد قال :

« رحل (أحمد بهاء الدين) عنا .. رحل الجسد النحيل ، والوجه الطفولي ، والصوت الرقيق ، والنبرة الهادئة ، والعقل الراجح ، والفكر المستنير ، والروح الساخرة الحاضرة .. رحل الكاتب المفكر ، والفنان صاحب الحس المرهف ، والنظرة الصائبة ، والتحليل الدقيق ، والوجدان الحى ، والضمير المتوهج دوامًا إنسانية وحبًا للبشر . كان (بهاء) ثائرًا بهدوء ، عنيدًا بكبرياء ، عالمًا بتواضع ، ومتواضعًا بثقة ، وكان وطنيًا مصريًا وفلسطينيًا ثائرًا وقوميًا عربيًا ووحدويًا حتى النخاع ، كان عدة مدارس فى مدرسة .. رحمه الله »

أما الكاتب الصحفى (صبحى شكرى) مدير جريدة وطنى القاهرية فقد كتب :

« مضى (أحمد بهاء الدين) بعد أن ملأ الدنيا فى فترة وجيزة نداءً وبحثًا وتنويرًا وكفاحًا من أجل مصر والإنسان المصرى ، وصولاً به إلى التحرر من أغلال الجمود والقهر ، ومن ثم إلى آفاق الجمال والحق والخير والحرية .. رحم الله المفكر السياسى والكاتب الصحفى الموسوعى ، وستظل شجرة أفكاره مثمرة ، فالكلمة الصادقة لن تسقط ، وستظل أيام عطائه لها تاريخ »

أما الكاتب الصحفى الصادق (سلامة أحمد سلامة) فقد كتب :

« كانت الميزة الكبرى فى (أحمد بهاء الدين) ـ وقد جمعتنى به علاقة عمل اتسمت بالود والصداقة والإعجاب ـ شخصيته التى اتسمت بالهدوء والتواضع والعقلانية . يعامل أصغر صحفى أو محرر من العاملين معه وكأنه ند له ، لا يبخل بجهد أو وقت فى مناقشة خبر أو مقال أو قصة أو قصيدة شعر أو رسم

كاريكاتيرى يعرض عليه ، وكانت نظرته البعيدة إلى ما وراء اللحظة الراهنة والحدث السريع ، والخبر العاجل والتفصيلة الآنية .. درسًا يوميًا فى القدرة على الإحاطة الشاملة والاستنتاج الصائب والرؤية المستقبلية ، كان نموذجًا للقيادة الصحفية قلما تتكرر . خاض (بهاء) معاركه الفكرية بشجاعة وعلم ، فقد كان واسع الاطلاع والثقافة ، شغوفًا بالقراءة والترحال ، ولكنه أبدًا لم يصنف نفسه فى قالب فكرى جامد ، أو معسكر أيديولوجى مغلق ، أو تيار سياسى لا محيد عنه ، واتسمت كتاباته دائمًا بمخاطبة عقل القارئ والدخول معه فى حوار مستمر ودعوته إلى إعمال فكره ، بحيث ينتهى القارئ إلى النتائج التى يؤمن الكاتب بصحتها دون ادعاء المعرفة أو التعالى ، دون كلمة نابية أو شاردة مهما تكن حدة الغضب أو سخونة المعركة . فى السنوات الأخيرة أسدل المرض القاسى ستارًا من الصمت حول (بهاء) ، حال بينه وبين مريديه ومحبيه وقرائه الذين ظلوا يأملون فى حدوث معجزة ترده إليهم . ولكن مشيئة الله تبقى نافذة ورحمته بعباده أرحم بهم من أنفسهم . رحمه الله » .

أما الكاتب الصحفى (نبيل زكى) فقد كتب :

« بهاء نموذج فريد للصحفى المفكر ، والمفكر الصحفى ، ويتفرد بالقدرة على الوصول إلى العمق فى أعقد القضايا ، والتعبير عنها فى بساطة . وهو يفتش عن المعانى والجذور وراء القضايا الكبرى ، وهو لا يخاف من تقلب الزمن ، ولا يلهث وراء المغانم مع تقلب كل زمن . لقد كان يحب أن يفكر بمفرده ، ويفر من القوالب المحددة ، ومن فكرة الخضوع لقرارات مجموعة من محترفى العمل السياسى .. لقد كان (بهاء) داعية للنضج الاجتماعى

والأخلاق الاجتماعية وترقية الذوق العام وعبور حاجز اليأس والاتكال . فقد ظل على الدوام من الكتاب الأفذاذ الذين يشعرون بمسئوليتهم تجاه وجدان الأمة وضميرها وعقلها وقيمها . كم نفتقد مواقف (أحمد بهاء الدين) .. وكم نشعر بالحنين إلى كلماته ».

أما الكاتبة القديرة والناقدة (صافيناز كاظم) فقد كتبت :

« كتابة عمود يومى أصعب من السير على حبل ، والأستاذ (أحمد بهاء الدين) هو قلة من القليلين يستطيع أن يشدك بحضوره . شديد الجاذبية لتقرأه من الكلمة الأولى حتى التوقيع ، جمله متتابعة مختصرة مرتاحة ، وتقول الكثير فى موجز محكم . فى الصيف تقرؤه فتشعر بأنك تشرب ماءً مثلجًا بعد ظمأ ، وفى الشتاء هو الشراب الدافئ المطلوب للطقس البارد . كان (بهاء) حيوية بلا صخب ، وهدوءًا بلا ملل ، وجيشانا بلا لهاث ، ورقة بلا ضعف ، وقوة بلا عنف ، عفيفًا فى عدائه موضوعيًّا فى محبته . وهذا هو أسلوب (بهاء) فى الحياة وعلى الورق » .

أما الكاتبة المبدعة (زينب صادق) فقد قالت :

« الشيء الذى يعوضنا عن افتقاد عزيز علينا ، هو أننا أمضينا أوقاتًا ثمينة معه نتذكرها فى أوقات الضيق والافتقاد .. هو أستاذى ومعلمى (أحمد بهاء الدين) .. تخرج الذكريات من أرشيف العقل .. كثيرون مثلى من الصحفيين والكتاب والصحفيات والكاتبات اكتشف الأستاذ (بهاء) قدراتهم الصحفية والأدبية ، وكثيرون قبلى ساعدهم الأستاذ (بهاء) فى شق طريقهم المهنى . فالإنسان العظيم بمواهبه وثقافته وعلمه لا يبخل على الآخرين فى الاكتشاف وإنارة الطريق لهم .. كلها ذكريات ثمينة فى حياة

الذين عملوا معه وتتلمذوا على يديه وشقوا طريقهم بمساعدته ، فهل حقيقة تعوضنا هذه الذكريات عن افتقاده » ؟!

أما الأستاذة الدكتورة (نعمات أحمد فؤاد) فقالت :

« الأستاذ (بهاء) صاحب كتاب « أيام لها تاريخ » قد أضفى وأضاف في حياته « أيامًا لها تاريخ » . كان متعدد الثقافات ، والثقافة الحقة ، وعى بالقيم ، وهى ذكاء الأسلوب ، وذكاء الشخصية . هى الاستشفاف فى التطلع إلى الآفاق ونفاذ إلى الأعماق وكان (أحمد بهاء الدين) هو ذلك الرجل » .

أما الكاتب المفكر (محمود أمين العالم) فقد رثاك بملحمة ثقافية أجتزئ منها :

« كان (أحمد بهاء الدين) يمثل جيل التنوير والعقلانية والوطنية والرؤية القومية الشاملة والاستيعاب الكامل لحقائق العصر . كما كان نموذجًا فريدًا للصحفى والكاتب الذى تنساب كتاباته بالمعرفة والعلم والاحساس العميق بالمسئولية ، ولم يكن مجرد مفكر يتسم بالرزانة والحكمة واتساع الأفق فقط ، بل كان أيضًا صاحب موقف ، حيث كانت أفكاره عبارة عن حلول لمشاكل وتفتيح لآفاق أى باحث ، فلم يكن مجرد مفكر أو مثقفٍ يعيش فيٍ برج عاجى ـ كما يقال ـ وإنما كان مفكرًا فعالاً ومشاركا برأيه فى تحسين الحياة وتطوير المجتمع وتعميق الرؤية للعالم والحياة . أيضًا كان يمتاز بدماثة خلقه ، كما كان أبا يفيض بحنانه وبعلمه وعطائه على الآخرين » .

أما صاحبة الشموع المضيئة الكاتبة الصحفية المبدعة (لوتس عبد الكريم) فأجتزئ القليل من الكثير الذى كتبته عنك ، فقد كتبت :

« أنت الذى اقتحمت كل الميادين ، وصال قلمك وجال فى كل مجال ، اخترت الابتعاد عن العالم الذى أحببته والانطواء بلا احتجاج وبلا مقاومة وبلا رفض لهذا المصير بعد طول قتال ، بعد حرب ضروس ودفاع عن القيم والمبادئ والحق والتاريخ » .

ـ أعتقد بما كتبته (لوتس عبد الكريم) يمكن أن نكتفى بهذا القدر مما كتبه الزملاء والأصدقاء والكتاب .

- **وثق بأن هذا قليل من كثير ، ولو نوهنا عن كل ما كتب عنك فى الصحافة المصرية والعربية والأجنبية ، أو ما قدمته البرامج الثقافية فى الإذاعة والتليفزيون محليًّا وعربيًّا وعالميًّا ، لاحتجنا ـ بأمانة وصدق ـ إلى مجلدات نصب فيها ملخصًا لما كتبه عنك محبوك فى المشرق العربى ومغاربه من كتاب وأدباء وسياسيين ، ممن اتفقوا معك فى الرأى أو اختلفوا ، ممن لم يشكوا يومًا فى عروبتك المختلطة فى دمائك بمصريتك . وعذرًا إن كنت لم أوفِّك حقك فى هذه العجالة .**

ـ أرجو ألا نكون قد أثقلنا على القارئ بحوارنا ..

★ ★ ★

ختـــام

والآن بعد أن قدمنا حياتك لكل مريديك ومحبيك .

يا من كنت مترفعًا بعيدًا عن الصغائر وعن التعصب ..

يا من لم تسع للضوء بغية الشهرة والانتشار والنجومية ..

يا من كنت كبيرًا بأفكارك وآرائك ومواقفك وتحملك المسئولية .

يا من كافحت الجهل والتلوث والإهمال .

يأيها المثقف الموسوعى رمز الاستنارة والفكر فى مصر وكل البلاد العربية .

يا من سكنت القلوب بسلوكياتك وكتبك .

يا من ستبقى فى الذاكرة والقلب ضميرًا وفكرًا ورمزًا تنشر نور العقل والعدالة والإنسانية والحرية .

يا من كنت تبحث عن الطامحين والموهوبين لتمد لهم يدك وتعطيهم من خبرتك ، أيها الفارس النبيل ، والمعلم المتمكن ، وصاحب الكلمة الوقور النظيفة ..

حقًا كنت قيادة صحفية ناجحة .. كنت الرأى الحر والموقف الشجاع ، فى كتاباتك كلمة الحق ، انحنت لك الرءوس احترامًا لمنطقك ، يا ضمير الصحافة المصرية ومؤرخها .

حقًا كنت رحلة زاخرة بالنجاح والعرق والتفوق ، وحياة دافئة مع الذين زاملوك أو تتلمذوا على يديك .

حقًا لقد طواك القبر جسدًا ، ولكنه لم يطوك مبادئ وأعمالاً .

وسيظل اسمك تأكيدًا للعبقرية ، وتكريمًا للصحافة ، وعرفانًا بالعطاء الجاد المخلص ، وتكريمًا للموهبة المصقولة بالثقافة والعلم . وإن كانت مصر قد فقدت بموتك صحفيًا قديرًا كانت له صولاته وجولاته فى حياتها الثقافية والأدبية والسياسية ، إلا أنك تركت لها من الكتب ما حوت من كنوز المعرفة بعيدًا عن التهوّر والعنترية والنفاق ..

سوف لاننساك أبدًا يا (بهاء) .. وإن كان لانجلترا أن تفخر (بشكسبير) ، ولإيطاليا (بدانتى) ، ولألمانيا (بجوتة) ، ولأسبانيا بـ (سرفانتيس) ، ولروسيا بـ (بوشكين) ، ولفرنسا بـ (فيكتور هوجو) ، فمن حق مصر أن تفخر بكاتبها الخالد الموهوب (أحمد بهاء الدين) . الذى سيظل اسمه أقوى من النسيان وستظل أعماله ومبادئه أقوى من الموت ، وستبقى لمصرنا فى فكرها نورًا وفى عقلها حكمة وفى مسيرتها عزمًا وصمودًا .

كم أرجو مخلصًا أن نكون بهذا الحوار المطول الذى غصنا به فى أعماقك يا رائد الصحافة والتنوير ، قد قدمناك لشباب جيلنا من الأدباء والكتاب والصحفيين المهتمين بالتجديد وعشق التاريخ ، والمدركين لقيمة إبداعاتك ، فيترسموا خطاك ويتبعوا منهجك .

إن العظماء لايموتون ..

يا سفير العروبة بلا أطماع أو أحقاد ...

يا بن الأهرام العزيز الخالد ...

« أحمد بهاء الدين »

[انتهى الحوار]

أنا افضل أن تلسع أصابعي حرارة الصدق والحماس ، على أن تتجمد عروقي في برودة الرياء والكذب .

أحمد بهاء الدين

فهرس

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٩٣٢

المطبعة العربية الحديثة

٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - ☎ ٦٨٢٣٧٩٢ - ٦٨٣٥٥٥٤

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة



مجدى سلامة



أحمد بهاء الدين ، كاتب موهوب ، وصحفى قدير ، وفارس نبيل ، اتسمت كتاباته بالرصانة والعلم والإحساس بالمسئولية .

هذا الفيلسوف العبقرى ، يقدم لنا الكاتب (مجدى سلامة) حياته - منذ ولادته وحتى وفاته - فى حوار يضمه هذا الكتاب (أحمد بهاء الدين .. رجولة وعروبة قيادة وريادة) .

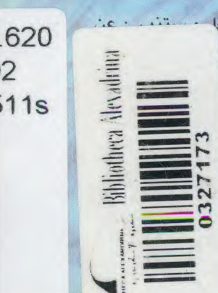
لم يغفل الكتاب أن (بهاء) كان أول صحفى يدعو إلى قيام الدولة الفلسطينية ، وأن الملوك والرؤساء العرب كانوا يستشيرونه فى الأمور المهمة ؛ لأنهم لم يشكوا يومًا فى عروبته المختلطة فى دمائه بمصريته .

لم يغفل الكتاب ما طرحه من قضايا وخاضه من معارك ، بعقل ... الفساد الثقافى ، والصراع العربى الإسرائيلى ، وانفتاح السداح م...

لم يغفل الكتاب إلقاء الضوء على آراء (بهاء) فى الحب وا... الشباب والجمال والذوق والأدب ..

عزيزى القارئ :

ثق بأنك لن تندم على الوقت الذى ستقضيه فى صحبة هذا ... باحثًا أو محبًا للتزود بالمعرفة .



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٤٢